سورة الكهف مفاهيم وتأملات ومعالم ودلالات

د.حسان علي ناجي شريان
استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد -كلية الآداب -جامعة إب

الملخص

2

حوى القرآن الكريم كل العلوم التي تحتاجها البشرية. ولكون الكثير من العلوم قد تطورت في عصرنا، فظهر فيها ومن خلالها ما لم يكن معروفاً قبل هذا العصر، وظهر في سورة الكهف ما يتصل ببعض هذه العلوم، أشرت إليها في هذا البحث الذي تضمن أربعة مباحث تفرعت إلى خمسة عشر مطلباً تناولت فيها أنواعاً من التربية والملامح التعليمية والدلالات الاجتماعية والإدارة والتنمية، مركزاً على القضايا ذات الصلة بالأمور الحياتية للإنسان المتصلة بنصوص القرآن، والتي قلّت الكتابة فيها فكان هذا البحث الذي أرجو أن ينتفع به ويستفيد منه الباحثون وطلبة العلم والدعاة والمعلمون والمربون والإداريون وغيرهم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين. وبعد:فقدأنزل الله القرآن الكريم وانزل فيه علمه، كما قال سبحانه وتعالى:﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء:١٦٦] ولهذا كان القرآن الكريم حاوياً لكل العلوم التي تحتاجها البشرية لا تنقضي عجائبه. ولكون الكثير من العلوم الإنسانية قد توسعت وتطورت لاسيما في عصرنا الحاضر، فظهر فيها ومن خلالها ما لم يكن معروفاً قبل هذا العصر، ولكون القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والمتجددة في كل عصر ومكان، فقد ظهر السبق القرآن بالإشارة إلى هذه العلوم الحديثة وتناولها في كثير من آياته، وبظهور هذه العلوم ونتائجها القائمة على تراكم كمّ هائل من العلوم والمعارف والتجارب ظهر مدى التوافق الدقيق بين كثير من قواعد وأسس هذه العلوم ودلالات ومفاهيم النصوص القرآنية.

أسباب اختيار الموضوع:

١ - كان مما دعاني لدراسة والتعرف على كنوز هذه السورة، الأحاديث الكثيرة الواردة في فضلها.

٢ - كثرة الدلالات والإشارات العلمية في المجالات الإنسانية المختلفة.

٣ - قلة الكتابة في العلوم الإنسانية ذات العلاقة والصلة بالآيات القرآنية.

أهمية الموضوع: سورة الكهف شأنها كغيرها من سور القرآن مليئة بكنوز علمية ومعرفية، وبالتأمل في آياتها سنجد العديد من المفاهيم والدلالات والإشارات المتعلقة بما استجد من علوم إنسانية حديثة، يمكن إيرادها على سبيل التأصيل لهذه العلوم والنظريات والمفاهيم والأسس. وكما يولِّد الكهف الإيحاء بالرهبة والتوتر لما يكتنفه من غموض، ولما يتوشح به من ظلمة فهو كذلك يحفز الحواس ويهيج العقل ويثير المشاعر لاقتحامه واكتشاف أسراره والحصول على كنوزه. وسورة الكهف فيها من الكنوز الشيء الكثير، تحتاج منَّا فقط لتأمل بسيط والتفات يسير وطواف محدود بين آياتها لتعرف على ما أودع الله فيها من كنوز، يساعد على اكتشافها النور الساطع الذي أودعه الله تعالى فيها، والذي يحصل من قرأها ومن ولج بين آياتها على جزء منه يبلغ عنان السماء كما نصَّت الأحاديث الواردة في فضلها.فكان هذا البحث الذي تضمن أربعة مباحث حوت خمسة عشر مطلباً تناولت في المبحث الأول المفاهيم والمعالم التربوية، المتضمنة للتربية: بالحوار، وبالقصة، وبالصحبة الصالحة،والتربية على العمل الجماعي ومن خلاله،وتكريم وتقدير الذات. وتناولت في المبحث الثاني المعالم والملامح التعليمية في السورة المتعلقة بالمعلم والمتعلم والعملية التعليمية والقائمين عليها.وفي الثالث المفاهيم والدلالات الاجتماعية.وفيه تحدثت عن زينة الحياة الدنيا بين الأبناء والبنات،والعزلة والخلطة، وصلاح الآباء وسريان أثره إلى الأبناء والمجتمع.وتحدثت في المبحث الرابع عن الإدارة والتنمية، وفيه تناولت مقومات الإدارة الناجحة. ومسائل إدارية تعلقت بأجور الأعمال الخيرية، والمشاركة

المجتمعية في إنشاء المشاريع، وإنجاز الأعمال من خلال الآخرين، كما تناولت معالم الجودة في سورة الكهف، ثم المعالم والدلالات التنموية فيها، واختتمت البحث بجملة من النتائج والتوصيات.

أهداف البحث:

١ - الوصول إلى النظريات والقواعد العلمية المتعلقة بالعلوم الإنسانية من خلال آيات سورة الكهف

٢ - إبراز الإشارات والمعالم القرآنية الدالة على احتوى سورة الكهف لبعض العلوم الإنسانية.

منهجية البحث وحدوده: وفي بحثنا لهذا الموضوع سلكت المناهج:التحليلي والاستنباطي والتاريخي، درست من خلالها الآيات القرآنية في سورة الكهف -موضع الدراسة - دراسة علمية دقيقة ومتأنية، استنبط منها ما ورد فيها من مفاهيم ومعالم ودلالات متعلقة بالموضوع، فأذكرها ثم أذكر النص القرآني الدال عليها غالباً، وقد استنبطت وجمعت جملة من الفوائد،التي أحمده سبحانه على هذا التوفيق وأسأله أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان الحسنات.

المبحث الأول: المفاهيم والمعالم التربوية في سورة الكهف.

المطلب الأول: التربية بالحوار

من الجوانب والمعالم التربوية التي تناولتها سورة الكهف، الحوار الذي برز بشكل أكثر من غيره من الجوانب التربوية، وذلك لتربية الأمة والفرد المسلم عليه، لما له من آثار تربوية على الأطراف المتحاورة، وعلى الكيانات المرتبطة بها، ولِما يحققه من نتائج، ولأهمية الحوار وارتباطه بالجانب التربوي وبالوضع السياسي اليمني الراهن كان تناول الباحث له إسهاماً في هذا الحدث الاستراتيجي والمحوري الذي ستتشكل في ظله اليمن الجديد[1] من خلال التأصيل للتربية بالحوار الصادق والهادف، والدعوة إليهما -الحوار والتربية من خلاله - وبيان آثارهما على الفرد والمجتمع.، تناولت سورة الكهف موضوع الحوار في كثير من الآيات، ولكثرتها لن نذكر الآيات التي ورد فيها، وإنما سنشير إلى المواضع التي ورد فيها، ومنها: حوارات أصحاب الكهف، وحوار المؤمن مع صاحب الجنتين، وحوار موسى عليه السلام مع الخضر، وحوار ذي القرنين مع الشعوب والأقوام الذين التقى بهم في رحلاته المختلفة، هذه الحوارات بمجملها كان لها أهداف وقامت على أسس وآداب وأشارت إلى شروط الحوار الناجح ومعوقاته، وتمثَّل كل ما سبق فيما يأتي:

أولاً: أهداف الحوار في سورة الكهف: بالنظر في الآيات التي ورد فيها الحوار في سورة الكهف يمكن القول: إن أهداف الحوار في سورة الكهف تتمثل فيما يأتي:

١ - النصح والإقناع. وهو ظاهر في حوار الرجل المؤمن مع صاحب الجنتين.

٢ - استيضاح حجة الآخر وأسباب فعله. وهو ظاهر في حوار موسى والخضر.

[1] -تناول الباحث هذا البحث أثناء انعقاد مؤتمر الحوار الوطني، والذي عُدَّ الحدث الأبرز في اليمن في حينه.

٣ - التعرف على حقيقة الآخر وأهدافه. وهو ظاهر في قصة تعارف أصحاب الكهف.

ثانياً: أسس الحوار في سورة الكهف: يمكن إجمال أسس الحوار التي أشارت إليها السورة في التالي:

١ - العلم. وعلى هذا الأساس كان حوار الرجل المؤمن مع صاحب الجنة وحوار الخضر وموسى.

٢ - التجرد لإظهار الحق. للمحاور ومن يتبنى رأيه ولغيرهم من الحاضرين والمتابعين، والتجرد الكامل الممزوج بالإخلاص لله يجعل المحاور الناصح متمنياً ظهور الحق على يد محاوره. فقد رُوي: "كنَّا نود أن يخرج الحق على لسانه فنتبعه، فإذا كنتم كذلك فافعلوا"[1]. ومن علامات التجرد: مناقشة الفكرة، والمقولة، والدليل، ووجه الاستدلال، وتصويب ما لم يصح منها، دون تسفيه لقائلها أو التهكم به، فالنظر دائماً ينبغي أن يكون إلى ما قيل لا إلى من قال. وقد توجه المؤمن في محاورته صاحب الجنتين إلى أساس معتقده وأصل حجته فدحضها، دون أن يشير إلى شخصه، بل وصفته الآية بالصاحب لبيان مدى التلطف به في الحوار واختيار العبارات المتوجة إلى معتقده وحججه.

٣ - قيام الحوار على الحق والدعوة إليه والقبول به. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

٤ - الاتفاق على تحديد مرجعية للمتحاورين ليحتكمان إليها. فهذا الأساس هو ما يحسم النزاع والاختلاف في الحوار، وفي سورة الكهف نرى الرجوع إلى الآيات والسنن الكونية والحجج العقلية والمنطقية وآثار القدرة الإلهية واضحة في قصة صاحب الجنتين، بعد ندمه -على تكذيبه وكفره - وقت لا ينفع الندم؛ لأن منطلقاته في الحوار كانت قائمة على مغالطات يخدع بها نفسه، وهو ما سنشير إليه في معوقات الحوار.

٥ - الأمانة العلمية. وهذا الأساس يمكن القول أنه ظاهر في تعليل الخضر لأفعاله الغريبة حيث قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢] كما ظهرت الأمانة في حوارات أصحاب الكهف عند تجمعهم فقد روي في قصتهم أن قومهم خرجوا في عيد لهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة، ثم جاءه الآخرون فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيان، فيخْلُوَا، فيتواثقا أن لا يفشيَ واحد منهما على صاحبه، ثم يفشي كل واحد منهما لصاحبه أمره، فإنا نرجوا أن نكون على أمر واحد، فخرج فتيان منهم فتواثقا، ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرَين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد، فإذا هم جميعا على الإيمان.

٦ - أهلية المحاور وثقته بنفسه.

---

[1] -مجلة المنار، المحاورة الثانية عشرة: بين المصلح والمقلد، محمد رشيد رضا:٤/٦٩٢.

٧ - الإيمان بالفكرة التي يحاور لأجلها وهاتان النقطتان ظاهرتان في قصة صاحب الجنتين.

٨ - التسليم بالنتائج الشرعية الصحيحة وبما يترتب عليها، كما في قصة صاحب الجنتين، وقصة موسى عليه السلام والخضر.

ثالثاً:شروط وآداب الحوار الناجح: لكي يكون الحوار فعَّالاً ومثمراً فلا بد أن يتسم بجملة من الآداب التي تساهم وتعمل على إنجاحه وقد أشارت سورة الكهف إلى بعضها ومنها:

١ - الاستماع والإنصات للمحاور. للوقوف على حقيقة فكرته والتعرف على أدلته بعيدا عن الوهم والتشويش والظن السيئ، واستفساره عن أي غموض يرد في كلامه؛ ليكون الرد صحيحا وصواباً. وفي حوار المؤمن مع صاحب الجنتين يظهر تخلقه بهذا السلوك، إذ لم يرد عليه حتى فرغ من ذكر جميع حججه، حتى قيل: إن صاحب الجنتين أخذ بيد المؤمن ودخلا الجنتين يريه إياهما[1]. وبهذا يكون المؤمن قد استمع لصاحب الجنتين حتى ذكر كل حججه القولية والحسيَّة، ثم بعد ذلك رد عليه وناقش أدلته.

٢ - التلطف والرفق والرحمة، وأن يكون بالتي هي أحسن.

٣ - الإعداد الجيد من خلال تهيئة المناخ العام للحوار، والإطار الواضح للتحاور، من حيث: هدف الحوار، وطبيعة ونفسية المحاورين، ونقاط التحاور الأساس والثانوية.

٤ - التسلسل المنطقي في إثبات الحجج. بالبدء بالأهم قبل المهم. والتركيز على ذكر الحجج الصريحة والبيِّنات الواضحة، والابتعاد عن التكرار والإسهاب.

٥ - معرفة حجج الخصم ومعرفة أساليبه في عرضها وجوانب القوة والضعف فيهما.

٦ - الموضوعية في الطرح والدقة والتحري في النقل، والتوثيق.

٧ - مناقشة ومعالجة الإشكال الأساس عند المخالف.

رابعاً: معوقات الحوار: معوقات الحوار هي التي تحول بين إقامة الحوار أو تمنع من إتمامه، أو من تحقيقِ أهدافه وثمراتِه المرجُوَّة، ومما ذكرته سورة الكهف من معوقات للحوار الناجح:

١ - الكبر . وما ينتج عنه ويترتب عليه ويتفرع منه من صد وإعراض وتكذيب. والكبر كما عرفه العلماء هو: "بطر الحق وغمط الناس" وقد يتصف المتكبر بالوصفين أو بأحدهما، وقد اتصف صاحب الجنتين بالوصفين القبيحين معاً فقال:﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤] وقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦].

٢ - إتباع الظن وإتباع الهوى في إصدار الأحكام.﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾

---

[1] -الجامع لأحكام القرآن:١٠/٤٠٤.

٣ - تزييف الحقائق وتحريف الأدلة:﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦].

خامساً: ثمرات الحوار وآثاره التربوية: ما من شك أن الحوار الجاد والبنَّاء يثمر نجاحاً علميا وسلوكاً متميزاً، ولذا حرص القرآن الكريم على ترسيخ مبادئه وبيان أسسه وملامحه، على كافة الأصعدة وبين مختلف الفئات، كالحوار بين الزوجين أو مع الأبناء والأصحاب والسلاطين، مع الموافقين أوالمخالفين، لما له من تأثير على شخصية المحاور -العلمية والعقلية، فهو يعمل على اتقاد الذهن - وانعكاس هذا التأثير على المجتمع، ففكرة الحوار والتواصل وسماع الأطراف من بعضها يضيِّق هوة الخلاف، ويقرب وجهات النظر، ونزع فتيل الإحنِ. والتعرف على الآخر وفكره أمر مطلوب وحسن، وموصل إلى الحق. وساد لطريق النزاعات وذهاب الريح.وتظهر آثار التربية بالحوار في:

١ - القبول بالآخر، والتعامل الإيجابي معه.

٢ - الوصول إلى الحق والحقائق.

٣ - تجنب التهور وردود الأفعال العنيفة على المواقف والآراء الباطلة.

٤ - التخلق بأخلاق الإسلام في الحوار سينعكس على التخلق بها بعده.

المطلب الثاني: التربية بالقصة

قصص القرآن أصدق القصص لتمام مطابقتها للواقع قال تعالى:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء:١٢٢] وأحسن القصص لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف:٣]. أحسن القصص من حيث جمال العرض، ودقة الحدث، وبلاغة اللفظ وصدق المضمون وسمو التوجه، وروعة الإخراج، وبهذا استحق أن تكون قصصه أحسن القصص؛ لأنها تتسم بالموضوعية، وتتحلى بالصدق، وتنمي القيم النبيلة والأخلاق الحسنة، وتسمو بوجدان الإنسان وجوارحه، حتى ينشأ محباً للحق والعدل والخير، وحتى يحيا على الإحسان والتسامح[١].

الميزات التربوية للقصة القرآنية في سورة الكهف: إذا ما تأملنا في قصص سورة الكهف الخمس: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، والقصة المختصرة لإبليس وآدم، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين، سنجد جملة من المميزات لهذه القصص القرآنية في سورة الكهف من أبرزها:

١ - تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، وتؤثر بموضوعاتها وشخصيات أبطالها على القارئ والسامع، وتدعوه إلى التحلي بصفاتهم حتى آخر كلمة فيها.قال تعالى:﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦].

---

١ -القصص في القرآن الكريم:٦.

٢ - تبيِّن القصة القرآنية حقيقة النفس البشرية بصورتها الكاملة وتعرضها عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه.

٣ - القصة القرآنية جاءت علاجًا لواقع البشر.

٤ - تمتاز القصة القرآنية بما تحدثه من آثار نفسية وتربوية بليغة محكمة، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعِبرَةِ منها.

٥ - تنمي القصة القرآنية وتزيد من العبادات القلبية كالتوحيد، والإخلاص، والصبر وغيرها، عن طريق إثارة المشاعر، والمشاركة الوجدانية للقارئ والسامع الذي يندمج في القصة[١].

٦ - القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات الملخصة والمبيِّنة لمغزى القصة، سواء قبل سرد أحداث القصة أو بعدها أو خلالها؛ لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يبررها حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أساليب التذكير والوعظ والزجر، فالقصة القرآنية قصة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنساني[٢].

المعالم التربوية للقصص القرآنية في سورة الكهف:

١ - من أبرز المعالم التربوية للقصة في سورة الكهف التربية الإيمانية، ببيان ربانية الرسالة وصدق الرسول ﷺ، وذلك عن طريق إثبات الوحي والرسالة، إذ كان ورود بعض القصص فيها إجابة على أسئلة اليهود التي تحدد نبوته من عدمها[٣].

٢ - تربية المسلم على الإيمان بكمال القدرة الإلهية وكمال الصفات الربانية، برحمة الله بعباده المؤمنين وتأييده ورعايته وعنايته بهم ودفاعه عنهم والتمكين لهم، بما يولد الثقة به والتوكل عليه. وهذا ظاهر بجلاء في قصص سورة الكهف.

٣ - العظة والاعتبار من المعالم التربوية للقصة في سورة الكهف. يقول الدكتور الصلابي: "إن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول العقدية والتوجيهات الأخلاقية والأساليب التربوية والاعتبار بالأمم والشعوب... مليء بالتوحيد، والعلم، ومكارم الأخلاق، والحجج العقلية، والتبصرة، والتذكرة، والمحاورات العجيبة"[٤].

---

١ -القصص في القرآن الكريم:٧.بتصرف.

٢ -القصة في القرآن الكريم الخصائص والدلالات:٨.

٣ -دلائل النبوة: ٢/ ٢٧٠.

٤ -السيرة النبوية(عرض وقائع وتحليل أحداث):١/ ٢١٥.

٤ - التثبيت جانب ومبدأ تربوي عملت القصة في سورة الكهف على غرسه وتعميقه في قلب النبي ﷺ وقلوب من تبعه من أمته وتربيتهم عليه. قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجاءَكَ هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

٥ - تربية المسلم على عداوة الشيطان، وتحذير الإنسان من عداوته وبيان مداخله، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أقوى وأدعى للحذر الشديد من كل وساوسه. قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف:٥٠].

٦ - التربية على ربط النتائج بالأسباب. ففي القصة بيان حُكم الله وحِكَمه.

٧ - تربية المسلمين وطلبة العلم على وجه الخصوص على احترام وتوقير المشايخ والمربين والعلماء، وبيان كيفية مناقشتهم ومحاورتهم.

٨ - تربية المسلم على الثقافة والإبداع والإحساس والشعور المرهف. فالقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليها السامع، وترسِّخ عِبَرَها في النفس.

٩ - القصة في سورة الكهف تحذير من معتقدات وسلوك الكافرين، وتربيه على دعوتهم إلى الله.

١٠ -القصة في سورة الكهف دعوة لاستنهاض للهمم.

المطلب الثالث: التربية من خلال الصحبة الصالحة

بالنظر في هذه الآيات سنجد أن سورة الكهف قد تناولت موضوع الصحبة بنوع من الشمول لها سواء كانت في الحضر أو كانت في السفر، وسواء كانت صالحة أو غير صالحة، كما تناولت عوامل التأثير فيها سلبا وإيجاباً، وكما تناولت سورة الكهف الصحبة في الدنيا فقد أشارت إليها في الآخرة. فمن الآيات التي حثت على الصحبة الصالحة. قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣] ومن الآيات التي تحدثت عن الصحبة في السفر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠] وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]. فيما بيَّنت أهمية الصحبة والتواصل بين الإنسان الصالح مع غيره في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤] وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف:٣٧] فما كانت هذه الصحبة من طرف واحد، بل كان كل واحد منهما صاحباً للآخر.

وبالنظر في هذه الآيات يظهر مدى استيعاب سورة الكهف للصحبة الصالحة، وبيانها لأهميتها وأثرها على الداعية وأتباعه، إلى الحد الذي يأمر الله تعالى نبيه محمداًﷺ بالصبر على ملازمة الصالحين ومصاحبتهم -وإن كانوا فقراء ضعفاء - وعدم طاعة المفرطين، وقد استجاب النبيﷺ لهذا التكليف الإلهي وامثل له،

وأمر به صحابته فقال ﷺ:«لاتصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي»[1]. وورود موضوع الصحبة بهذا التفصيل في سورة الكهف التي يتلوها كثير من المسلمين كل يوم جمعة له دلالته الخاصة على حرصه عليها والتذكير الدائم والمتكرر بها؛ وبيان أثرها في اكتساب القيم والسلوك. ومن هنا لزم كل مسلم التنبه لذلك، وحسن اختياره لأصحابه، ومراعاة ومتابعة من يرعاهم ويلي أمرهم في اختيارهم أصحابهم. فلا يخفى مدى عِظم التأثر بالأصحاب، فالصاحب ساحب، وقد جاء في كتب اللغة: الصاحبُ كالرُّقعة في الثوب، فاطْلبه مُشاكِلاً. وقيل: الصاحبُ كالرُّقْعة في الثوب إن لم تكن منه شانَتْه[2]. "فالإنسان بطبيعته متأثر بغيره، آخذ عنه، سواء أحس بذلك أم لم يحس، خاصة في مراحل الصبا، فالرفقة الصالحة هم من وسائل التربية الأخلاقية والنفسية والعقلية للناشئة، وواجب الآباء أن ينتقوا لأبنائهم هذه الرفقة بطريقة غير مباشرة من أصدقائهم الصالحين؛ لأن صداقة الأبناء تقتضي الزيارة والخروج في رحلات تعمق الصلات بين الأبناء"[3].

وموضوع الصحبة والتربية بها من خلال تأثيرها قد تم تناولهما من قبل كثير من المختصين، وفي كثير من الدراسات العلمية، غير أنَّ ما أحب ذكره هو أن كثير ممن تناول الصحبة وتأثيرها قد حذر ومنع بالكلية من مخالطة غير الصالحين باعتبارها عاملاً من عوامل الفساد والانحراف والتربية السيئة، وهذه مسألة تحتاج إلى نقاش. فما دلت عليه سورة الكهف هو خلاف هذا، فقد دلت على مشروعية مخالطة بل ومصاحبة غير الصالحين، كما في قصة صاحب الجنتين، فقد بيَّنت السورة أنَّ طبيعة العلاقة القائمة بينه وبين المؤمن علاقة صحبة. وهذا دال على جواز مخالطة ومصاحبة غير الصالحين، إلاَّ أنَّ هذه المخالطة والصحبة ينبغي أن تكون مضبوطة بضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر المصاحب، ويمكن استنباطها من قصة المؤمن مع صاحب الجنتين ومنها:

١ - أن يتحلى المصاحب لغير الصالحين بالعلم والتقوى، وهذا ظاهر من خلال النظر في حوار المؤمن وما ذكر من حجج منطقية.

٢ - أن يكون القصد من الصحبة الدعوة وبيان الحق، ومعالجة الشبهات عند الصاحب.

٣ - أن يكون ذا شخصية قوية مؤثرة لا متأثرة.

٤ - أن لا تمنعه الصحبة من قول الحق وتقديم النصح عند الحاجة.

---

[1] -سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس: ٤/٤٠٧، رقم الحديث:٤٨٣٤. وسنن الترمذي، باب صحبة المؤمن:٤/٦٠٠، رقم الحديث:٢٣٩٥،ومسند أحمد:٣/٣٨، رقم الحديث:١١٣٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم الحديث:٧٣٤١.

[2] -تاج العروس:٢١/١١٣.

[3] -مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:٢١/٤٩٨.

هذه بعض الشروط فيمن يصاحب غير الصالحين وغير المسلمين، فإن أختل أحدها فالذي يظهر والله أعلم، أن ترك الصحبة أولى؛ للقاعدة المعروفة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[1].

ومما يؤكد مشروعية هذا النوع من المخالطة والصحبة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].فالله تعالى حدد الأوقات والأماكن والمواقف التي يجب على المؤمن الابتعاد فيها عن هذه الصحبة، وذلك عند الخوض الاستهزاء والكفر بآيات الله تعالى، وما عداها فالمخالطة والصاحبة جائزة وقد تكون مطلوبة إن ترتب عليها مصلحة شرعية وتأثير وتربية حسنة للصاحب. وما جاء في سورة الكهف من أمر الله نبيَّه ﷺ بالصبر مع الذين يدعون ربهم، وحرمة طاعة الغافلين، فليس معناه النهي عن صحبة غير الصالحين، فالآية إنما نهت النبي ﷺ عن ترك فقراء الصحابة؛ لمحادثة أغنياء ووجهاء العرب، كما نهته عن طاعة الغافلين فقط، وبالتالي فلا تعارض بين قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف:٢٨]. وصحبة المؤمن لصاحب الجنتين.

المطلب الرابع: التربية على العمل الجماعي ومن خلاله

نعني بالعمل الجماعي: اجتماع عدد من الناس على القيام بعمل، له إدارة تسعى لتحقيق أهداف الجماعة،وفق أسس وآلية متفق عليها، وتعمل على توزيع الأعمال والتكاليف حسب الطاقات والقدرات.

وهذا التعريف لا يحصر العمل الجماعي في العمل الدعوي والخيري فحسب، كما هو شائع، بل إن أي عمل يحتاج إلى عدد من الناس لتنفيذه يمكن وصفه بأنه عمل جماعي، واقتصار وصف العمل الجماعي على الدعوي منها عند أكثر الباحثين والدعاة؛ لكون أغلب الأنشطة والأعمال الجماعية الأخرى يمكن إدراجها تحته.وقد أشارت سورة الكهف إلى العمل الجماعي بكافة أنواعه المختلفة، ومن الآيات والمواقف التي تناولت العمل الجماعي ما يلي:

١ - خروج أصحاب الكهف من مدينتهم بشكل منظم حُدد فيه: مكان تجمعهم، ووقت خروجهم وهروبهم، ومكان اختبائهم.

٢ - العبادات الجماعية التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨].

[1] -الأشباه والنظائر لتاج الدين السبكي:١/١٢١، والأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة:٩٠.

٣ - في قصة صاحب الجنتين معالم لعمل جماعي في مجال الزراعة، قام على هندسة زراعية متخصصة وإدارة علمية منظمة -أشاد القرآن بها - وصلت بالجنتين وصاحبهما إلى نجاح باهر ومتميز، ما كان لصاحبهما أن يصل إلى ذلك بمفرده.

٤ - وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر معالم ودلالات لأعمال جماعية منظمة، ابتداء بسفر موسى مع فتاه، إذ كان للفتى مهام خاصة ومحددة. ثم في ركوب موسى والخضر السفينة إشارة إلى عمل جماعي كان يقوم به أصحابها المساكين، سواء في قيادتها وإدارتها أو العمل عليها. كما أن في الحديث عن الملك الغاصب إشارة إلى عمل إجرامي يمارس بشكل جماعي ورعاية ملكية، فما كان الملك واحده من يقوم بهذا الفعل، وإنما له حاشية وأتباع ينفذون سياسته وأوامره.﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف:٧٩].

٥ - وفي قصة ذي القرنين دلالات ومعالم وبيان وتجسيد لمفهوم العمل الجماعي في المشروع الإستراتيجي الذي أشرف عليه ونفذه ورعاه الملك الصالح ذو القرنين، المتمثل بسد ذي القرنين، قال تعالى:﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف:٩٦] فقد نُفذ البناء بمشاركة مجتمعية واضحة، حُدِّدت فيه التكاليف والمنفذين لها.

ومن هنا كان لابد من الاهتمام بالعمل الجماعي والتأصيل له والتركيز والاعتماد عليه في إقامة المشاريع الحيوية، باعتباره وسيلة من وسائل النهوض الحضاري وعلى كافة الأصعدة.

والعمل الجماعي نوع من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] وقال النبي ﷺ:«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»[١]، وكما سبق وأن أشرنا إلى أن العمل الجماعي لا يقتصر على الجانب الدعوي، فميدانه أوسع ومجالاته متعددة ومتنوعة وأكثر من أن تحصر في مجال بعينه، ومتى ما احتاج الإنسان والمسلم فيه إلى إخوانه كان عليهم إعانته، وإذا كان هذا مطلوباً في حق الفرد فهو في حق المجتمع آكد.

والعمل الجماعي بمفهومه الشامل الذي يندرج تحته العمل المؤسسي، أمر محمود، وحاجة الناس إليه ملِّحة، وطبيعة النفس البشرية، النقص والخلل، فكان لا بد لها من رافد يعينها ويسددها ويقومها، وقد صح في الحديث، أن النبي ﷺ قال: «المؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»[٢] فكان العمل الجماعي ضرورة لا يستغني عنها أحد، ومن فوائده وآثاره التربوية التي أشارت إليها سورة الكهف:

١ - اكتشاف النفس، وما فيها من قوة أو ضعف، أو كمال أو نقص.

---

[١] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب التشبيك بين الأصابع في المسجد:١/١٢٩،رقم الحديث: ٤٨١.

[٢] -سنن أبي داود بتحقيق الألباني، باب في النصيحة والحياطة، ٢/٦٩٧، رقم الحديث:٤٩١٨،وحسنه الألباني.

٢ - تقويم الاعوجاج، فأصحابه يصلحون حاله، إما بالنصيحة أو العتاب، أو التوبيخ، أو الهجر.

٣ - توظيف الطاقات وتنمية الملكات وتلاقح الأفكار.

٤ - بث الأمل ودفع اليأس عن الجميع، وإثارة الحماس لديهم، والحرص على الاستمرار في العمل

٥ - فتح مجالات الأجر والثواب والتعاون على الخير.

٦ - القبول بالآخر والتعايش والتعاون معه بما يحقق مصلحة المجتمع.

٧ - استجلاب تأييد الله وعونه ونصرته[١].

٨ - يفرز العمل الجماعي قيادات وأفراد على قدر عالٍ من الكفاءة والمسؤولية.

وأما على الصعيد العملي والإنتاجي فقد دلت التجارب على أن العمل الجماعي أكثر حيوية وإنتاجاً وأسرع إنجازاً وأكثر فائدة على الصعيدين الفردي والمجتمعي من العمل الفردي...فعندما يشعر الإنسان بأن هناك آخرين يعملون نفس العمل الذي يقوم به، فان ذلك يدفعه إلى زيادة نشاطه[٢].ولا شك أن العمل الجماعي له متطلبات ولوازم، ومما أشارت إليه سورة الكهف في هذا:

١ - وجود قيادة تتصف بالعلم والحلم والكفاءة، والقدرة على التعامل مع الأحداث والنوازل المستجدتين بحكمة واقتدار، وهذا ظاهر في صحبة موسى عليه السلام ﷺ لفتاه. فهو لم يقسو عليه ولم ينهره بل لم يعاتبه على نسيانه وغفلته عن إخباره عن ذهاب الحوت. وهذا ليس معناه تجاوز القيادة عن أخطاء أفرادها لكن الواجب التعامل مع المخطئ على قدر خطئه وأثر هذا الخطأ على الفرد والجماعة والمجتمع، بعد التعرف على مسببات هذا الخطأ، وهذا مستفادة من قصة ذي القرنين، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٨٧].

٢ - الطاعة بالمعروف للقيادة الواعية والمسؤولة.

٣ - السرية والكتمان لما يعود على الجماعة والأفراد بالضرر. وهذه النقطة والتي قبلها مستنبطتان من قصة أصحاب الكهف.

٤ - التعاون المشترك بين القيادة والأفراد على تحقيق الأهداف وتنفيذ الخطط والبرامج والمشاريع، وهذا ظاهر من قصة ذي القرنين وبناء السد.

المطلب الخامس: تقدير وتكريم الذات

خلق الله تعالى الإنسان وكرمه على غيره من الخلق، وأمره تعالى بإكرام وتقدير نفسه، فحرم عليه ما يتعارض ويتنافى مع هذا التكريم وما يؤدي إلى إهانته ذاته واحتقار الآخرين له. ودعت سورة الكهف وحثت في كثير من دلالات آياتها على تقدير الإنسان لذاته وتكريمها، وتحريم وتجريم إهانتها، وفي قصة أصحاب الكهف

---

[١] -موقع الإسلام اليوم، الفتاوى والاستشارات.١٩/٣٧٩.

[٢] -الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل:٤/٣، بتصرف.

ما يدل على تقدير الذات وتكريمها، فهؤلاء الفتية وهم في أحلك لحظات المحنة، وبعد فترة من الهروب والتخفي والانقطاع عن الأهل والمال، وفي وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى المال وتوفيره والتقشف في المعيشة؛ لهروبهم وجهلهم بمصيرهم وحالهم ومستقبلهم، وقِلَّة ما بيدهم من المال بعد أن جردهم الملك من كل ثمين حتى في ملابسهم، رغم كل هذا نجدهم أول ما استيقظوا طلبوا الطعام، وليس أي طعام وليس الزكي منه فحسب بل الأزكى منه، أي: ما تتوفر فيه عناصر ومعايير الجودة، وتنطبق عليه المواصفات والمقاييس الغذائية والصحيَّة، قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩]. وما هذه اللفتة القرآنية لفعل الفتية وطلبهم إلاَّ بيان لتقديرهم ذواتهم وإكرامهم إياها، هذه اللفتة وبهذا التعبير الوارد في الآية فيه إيحاء بإقرار القرآن هذا الطلب وهذا التكريم للذات. ويتأكد هذا الإقرار بما ورد في غيرها من الآيات الدالة على أهمية تقدير الذات المتضمن تكريم الإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [البقرة:١٦٨] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٢] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:٨٧ -٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل:٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠] وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون:٥١] وقال تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[غافر:٦٤]. قال القرطبي: "وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يأكلون الطيبات ويلبسون أحسن الثياب ويتجملون بها، وكذلك التابعون بعدهم"[١].

وهذا ليس معناه أن التكريم مختص بمنح الذات وتكريمها بأطيب الطعام، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى -فحوى الخطاب - فإذا حرص القرآن على إطعام النفس والغير أطيب الطعامتكريما له،بما في ذلك المتصدق عليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧] فغيره من أنواع التكريم الحسي والمعنوي مطلوب شرعاً –أيضاً - للذات الإنسانية، وهو ما نراه بارزاً في قصتي المؤمن وصحب الجنتين وموسى عليه السلام مع الخضر، فأما المؤمن المحاور لصاحب الجنتين فيظهر في صورة المخالط للأثرياء وعِلية القوم، المعتز والواثق بنفسه الجريء على قول الحق رغم فقره، وظهر أن هذه العزة والثقة نابعتان من ذاته و تقديره لها لا من أمر خارجي، بخلاف صاحب الجنتين الذي استمد توكيده لذاته من ثروته وقرابته ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾الكهف:٣٤]

[١] -الجامع لأحكام القرآن:٦/٤٢٤.

ولما ذهب مصدر اعتزازه فقد ذاته وثقته بنفسه، في حين بقيا لمحاوره المؤمن. "وقد يتجه بعضنا إلى أن يستمد تقديره الذاتي من الآخرين، فيجعل قيمته الذاتية مرتبطة بنوع العمل، أو بما لديه من مال، أو إكرام وحب الآخرين له وهو من غير شعور يضع نفسه على حافة هاوية خطيرة لإسقاط ذاته بمشاعر الإخفاق، وهذا يوحي إلينا ذات ضعيفة؛ لأن التقدير والاحترام لأنفسنا ينبع من مصدر خارج أنفسنا وخارج تحكمنا. إن حقيقة الاحترام والتقدير تنبع من النفس؛ إذ أن الحياة لا تأتي كما نريد فالشخص الذي يعتمد على الآخرين في تقدير ذاته قد يفقد يوماً هذه العوامل الخارجية التي يستمد منها قيمته وتقديره وبالتالي يفقد معها ذاته، لذا لابد أن يكون الشعور بالتقدير ينبعث من ذاتك وليس من مصدر خارجي يُمنح لك"[1]. وأما سيدنا موسى عليه السلام فعندما لقي الخضر الذي تكرر منه التنبيه لموسى عليه السلام أكثر من مرة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ وفي قوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٦٧ -٧٥] وتكرر قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ مرتين في الآية٧٢، والآية٧٥، لم تهن على سيدنا موسى نفسه، فرد عليه في كل مرة، لِما تشعره هذه التنبيهات وتكرارها تأنيب المنبَّه على ما صدر منه. ولمَّا رأى موسى عليه السلام أنَّ تساؤلاته لا تقتضي كل هذا اللوم العتب رد ردوداً غايةً في اللياقة والأدب وتحفظ لنفسه كرامتها، وكان كل رد يتناسب مع مستوى التنبيه وما تضمنه من العتب، فقال أولاً: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩] ولما تكرر التنبيه قال: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣] ولما زاد التنبيه قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦]. وهنا نلاحظ قوله: لا تؤاخذني بما نسيت، وقوله: لا ترهقني، مع ما في الأولى من اعتذار إلاّ أن صيغة الاعتذار هي بيان للسبب أكثر منها اعتذاراً، وأما اللفظ الثاني: لا ترهقني فهو متضمن للعتب، وبصيغة النهي الدالة على الاعتراض وعدم تقبله وتحمله ما حصل وما سمع من لوم وعتب، إلى درجة أنه آثر مفارقة الخضر على تحمل انتقاداته وأسلوبه، فقال:﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦].كما أن شخصية سيدنا موسى عليه السلام القوية بدنياً وإدارياً -والتي أشارت إليها نصوص الوحي، في قتله القبطي[2] وأخذه برأس ولحية أخيه[3] ولطمه ملك الموت وفقئه عينَه[4] - قد جعلته يتصرف مع الخضر لا على أنه تابع خاضع، ومريد مسلِّم، حاله مع شيخه كحال الميِّت بين يدي المغسِّل كما يروِّج البعض لذلك، بل تعامل باستقلالية، وثقة واعتزاز تامين بنفسه،

---

[1] -كتابات في الإبداع وإدارة الوقت والذات:١/٦.

[2] -قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

[3] -قال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ [طه:٩٤].

[4] -صحيح البخاري،كتاب بدء الوحي:٤/١٩١، رقم الحديث:٣٤٠٧، صحيح مسلم،، باب فضائل موسى:٧/٩٩، رقم الحديث:٦٢٩٧.

فكان يسأل عن كل تصرف يمارسه الخضر، وينكر تلك التصرفات، بدليل تذييلها بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١] ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤].

وما ذكرناه عن سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر من ثقة واعتزاز بالنفس لا يتنافى مع آداب طالب العلم لما يلي:

١ - ما من شك أن مقام النبوة أعلى من مقام الولاية. وسيدنا موسى عليه السلام كان نبياً والخضر ولياً، فمقام موسى أعلى من مقام الخضر، وعليه فالحوار بينهما كان على هذا الأساس.

٢ - لأن سيدنا موسى عليه السلام لم يتتلمذ على الخضر، فقد علِم سيدنا موسى عليه السلام أن علْم الخضر كان علماً لدنياً قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف:٦٥]. وعَلِم سيدنا موسى عليه السلام أن هذا النوع من العلم لا يُنال بالطلب ولا يكتسبه الإنسان بالتحصيل، فكان بقاؤه مع الخضر للتعرف على هذا النوع من العلم لا لتعلمه واكتسابه وتحصيله، وبهذا لم يتتلمذ موسى عليه السلام على الخضر، واكتفى سيدنا موسى بالتعرف والوقوف على بعض المواقف التي بيَّنت له طبيعة هذا العلم.

وكنَّا قد أشرنا فيما سبق إلى أن تكريم الذات الإنسانية حسياً ومعنوياً من مقاصد آيات سورة الكهف، وفيما أوردنا تأصيل للتكريم الحسي للإنسان، أمَّا التكريم المعنوي في سورة الكهف فلم يختص بالإنسان بل توسع فشمل الحيوان، وما ذِكْر الكلبِ المصاحب للفتية أربع مرات في سورة الكهف إلاَّ قمَّة التكريم له، ودلالة على التكريم وإثبات الحقوق المعنوية. فإذا وصل التقدير والتكريم في القرآن إلى تكريم الحيوان. فينبغي على الإنسان أن يكرِّم الإنسان عموماً، وإن يكرِّم ويقدر قبل ذلك نفسه، وأن يتعبَّد الله بهذا التكريم لذاته والاعتزاز بنفسه، فمن لا يكرِّم ولا يقدِّر نفسه لا يقدره الناس، وإنما يضعونه حيث يضع نفسه، وهو باحتقاره لذاته وانتقاصه من نفسه يخالف تكريم الله له.

ويخطئ البعض في فهمه وممارسته لبعض الأخلاق الإسلامية كخلق التواضع، فيتواضع تواضعاً يصل به إلى إهانته نفسه، وليس هذا من التواضع في شيء، فروح التواضع قبوله الحق أياً كان مصدره، ومعرفته قدر ذاته، فالتواضع ضد الكبر، وإذا كان الكبر غمط الناس وبطر الحق فالتواضع الحق هو معرفته بقدر الناس وبقدر نفسه، بعدم إعطائها أكثر مما تستحق فيقع في الكبر، وبعدم إهانتها فمن أهان نفسه أهانه الناس، فروح التواضع في تقدير الذات وإكرامها وتكريم الآخرين.

ونعني بتقدير الذات: مقدار رؤيتك لنفسك، وكيف تشعر اتجاهها[1]. وأما توكيد الذات فهو: قدرة الفرد على التعبير الملائم -لفظاً وسلوكاً - عن مشاعره وأفكاره وآرائه تجاه الأشخاص، والمواقف من حوله، والمطالبة بحقوقه المشروعة دون ظلم أو عدوان. ومن صور توكيد الذات في السورة ما يأتي:

---

[1] -تقدير الذات:٢.

١ - التواصل مع الآخرين بشكل صريح ومباشر، كما في القصص المشار إليها.

٢ - القدرة على قول كلمة لا، ورفض الباطل، والاعتذار عن فعل ما لا يقتنع به. وهاتان النقطتان ظاهرتان في قصة صاحب الجنتين.

٣ - قبول الحق أياً كان مصدره، والاعتراف والاعتذار من أخطائه إن وجدت.

٤ - التعبير عن مشاعر الغضب بحلم وتوأده.

٥ - التعبير عن الذات بشكل صريح وببساطة، وهذه النقاط ظاهرة في قصة موسى عليه السلام.

٦ - استمداد تقدير وتكريم النفس من ذات الإنسان ونجاحه. وهذا ظاهر في قصة ذي القرنين.

المبحث الثاني: المعالم والملامح التعليمية في سورة الكهف

المطلب الأول: المعالم والملامح التعليمية المتعلقة بالمعلم:

من الملامح والإشارات العلمية المتعلقة بالمعلم، ما أجملناه فيما يأتي:

١ - مخالطة العالم للناس ومعاشرتهم ليتعرف كل منهم على الآخر. والاحتكاك المباشر بهم؛ لتوليد الود والقبول بأقواله وأفعاله. وهذا مستنبط من قصة الخضر، فخرقه للسفينة ما كان ليسمح به أصحابها ومن كان على ظهرها لولا معرفتهم السابقة به. ومما يدل على معرفتهم السابقة بالخضر ما جاء في البخاري ومسلم وذكره السيوطي:"فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول "[1]. وما كان والدا الغلام ليتركا الخضر يقتله، وما كانا ليتركاه بعد القتل لولا معرفتهما السابقة به وبكراماته وحِكم تصرفاته القولية والفعلية وإن لم تظهر في حينها، ولذا لم ينكر على الخضر أصحاب السفينة خرقها كما لم ينكر عليه والدا الغلام، في حين أنكر موسى عليه السلام الفعلين، لكون أولهما جرماً والثاني كبيرة من كبائر المحرمات في علم موسى.

٢ - ظهور أثر العلم في العالم والمتعلم بانعكاسه على المجتمع من خلال ممارستهم الخدمة المجتمعية وأعمال التنمية المستدامة الشاملة، وهذا ظاهر من خلال الأعمال التي قام بها الخضر، التي منها: توفير الحماية –بأنواعها المختلفة - للأفراد الذين يعيش في وسطهم، بحسب الإمكانيات والوسائل والأساليب المتعددة المتاحة. وهذا مستنبط من خرق الخضر السفينة منعاً من غصب الملك لها، وإبقائها لأصحابها، وإقامة الجدار حماية لأموال اليتيمين، والحماية هي ما قدمها ذو القرنين للسكّان بين السدين. ومن الخدمات المجتمعية التي يقدمها العالم لمجتمعه توفير الاستقرار النفسي والاجتماعي، وهذا ظاهر في قتل الخضر للغلام الذي كان الغرض منه توفير الراحة ومنع إرهاق الوالدين وحمايتهما من الكفر.

---

[1] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي:١/٤١،رقم الحديث:١٢٢،صحيح مسلم:باب فضائل الخضر:٧/١٠٣،رقم الحديث:٦٣١٣.

٣ - من واجبات المعلم الثقة الكاملة بنفسه وبعلمه؛ لتوليد الثقة بهما عند الآخرين، ففاقد الشيء لا يعطيه، وإذا لم يثق هو بنفسه وعلمه فكيف يمكن وأنَّى له أن يطلب من غيره الثقة بهما؟ وهذا ظاهر في إجابة موسى على من سأله: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم[١]. فإجابته جسدت ثقته بنفسه وعلمه، التي انعكست على أتباعه فوثقوا به. وهذا هو حال جميع الأنبياء مع أتباعهم.

٤ - على المربي والمعلم بيان حقيقة ومضمون اجتهاده وأسباب ودواعي ومعطيات ذلك الاجتهاد، وتعليل أقواله وأفعاله لطلابه، وعلى وجه الخصوص غير الطبيعية منها والتي لا يتوقع صدورها من مثله؛ دفعاً لسوء الظن به، وحفاظاً على الثقة التي أشرنا إليها. وهذا مستنبط من قول الخضر: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨].

٥ - توقير الطالب وتقديره؛ لبناء شخصيته القوية والناجحة. فتحطيم وإلغاء شخصية الطالب ستفقده تأثيره وفعاليته ودوره الريادي المنوط به، وإن تحصَّل على علوم جمة فستظل جامدة وراكدة لا فائدة منها. كما أن المعلم بذلك التقدير سيكسب الاحترام الحقيقي والمحبة الصادقة والرضا والتقبل من طلابه، فيثمر نجاح المعلم والطالب وتحقيق الأهداف التعليمية. "وكذلك ينبغي أن يرحب بالطلبة إذا جلسوا إليه ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم بعد درسهم، وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن المودة وإعلام المحبة وإظهار الشفقة"[٢]. وهذا التوقير والتقدير ظاهر في تعامل موسى عليه السلام مع فتاه.

٦ - الاعتدال في معالجة الأخطاء. وهذا أيضاً ظاهر في تعامل سيدنا موسى عليه السلام مع فتاه بعد نسيانه إخبار موسى عليه السلام بحركة الحوت. قال الإمام الغزالي"إن من آداب المعلم أن يزجر المتعلم عن سيئ الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيِّج الحرص على الإصرار... ولأن التعريض أيضاً يُمِيل النفوس الفاضلة "[٣].

٧ - ربط الطلاب بأهداف عليا وسامية توقد الهمم.﴿لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠].فليس هناك شيء يجعل الدافعية تخمد أو تفتر من عدم وجود أهداف أو وجود أهداف

---

[١] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فليكل العلم إلى الله:١/٤٢، رقم الحديث:١٢٢.

[٢] -آداب العلماء والمتعلمين:١٢.

[٣] -إحياء علوم الدين:١/٥٧، والمفصلفيفقهالدعوةإلىاللهتعالى:١٣/٩٥.

دنيا، فينبغي دائما توجيه أذهان الطلاب إلى الأهداف السامية العظيمة، وغرس التطلع إليها في نفوسهم لشدِّهم إلى المعالي، بما يثير فيهم الدافعية الذاتية التي لا تخبو[1].

٨ - أن يكون محباً لمهنته، ولوعاً بها، يؤدي عمله بشوق وشغف ونشاط، حريصاً على نجاحه، وهذا ظاهر في قصة سيدنا موسى عليه السلام وفي همته العالية التي دعته لطلب العلم وتحمل مشاقه وأعباء تحصيله. كما دلت على ذلك الآية السابقة.

٩ - أن يكون متواضعاً من غير ضعف، عطوفاً في حزم وكياسة، متحرراً من عقدتي الدونية والتعالي[2].

١٠ -ذكاء العالم والمعلم والمربي وفطنتهم، وسعة أفقهم، وبعد نظرهم ويقظة عقولهم وسرعة بديهتهم؛ لمعالجة المشكلات الطارئة بحكمة واقتدار.وهذا مستنبط من قصة موسى عليه السلام والخضر، فقد عمل على حل غصب السفينة بخرقها، وحافظ على مال اليتيمين بإقامة الجدار.

المطلب الثاني: الملامح والإشارات التعليمية المتعلقة بالمتعلم والعملية التعليمية

أمَّا الملامح والإشارات العلمية المتعلقة بالمتعلم الواردة في سورة الكهف، فمنها مايلي:

١ - الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ لها أثر عظيم في التحصيل ومزيد كمال في التعليم، فتعدد المشايخ وتنوع أشخاصهم وأفكارهم وعلومهم سبب في تحصيل المَلَكة العلمية ورسوخها، لاسيما مع تكرر اللقاءات والتواصل المباشر الذي يفيد المتعلم ترسيخ العلوم وتثبيتها.قال الغزالي: "قَلَّ مذكورٌ في العلم من زمان الصحابة رضي الله عنهم إلى زماننا إلاَّ وحصل العلم بالسفر وسار لأجله. وقال مالك ابن دينار: أوحى الله إلى موسى عليه السلام:أن اتخذ نعلين من حديد، وعصا من حديد، ثم اطلب العلم واصبر، حتى تخرق نعالك وتكسر عصاك". قال ابن العربي: "وهو أول من رحل في طلب العلم من أهل الشرائع"[3].

٢ - ينبغي على طالب العلم الثقة بمعلمه ومربيه، وعدم الإنكار على أهل العلم والاجتهاد اجتهاداتهم قبل معرفة أسباب ومسوغات الاجتهاد. كما هو ظاهر في إنكار سيدنا موسى عليه السلام لأفعال الخضر، قبل معرفته مبررات وحِكم ذلك.

وأمَّا الملامح والإشارات العلمية المتعلقة بالعملية التعليمية الواردة في سورة الكهف، ما يلي:

١ - لاختيار السليم والمناسب للطالب والشرائح المستهدفة بتلقي العلوم والتخصصية منها على وجه الخصوص، ووضع شروط ملائمة وشاملة لمدخلات التعليم بأنواعه المختلفة، تتناسب مع طبيعة كل مجال تعليمي وبما يحقق أهدافه، وهذه النقطة ظاهرة من موقف الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام

---

[1] -الإنسان بين علو الهمة وهبوطها: ٤٢٧، بتصرف.

[2] -دائرة معارف الأسرة المسلمة:١٣٣،بتاريخ:٢٠/٠٩/٢٠٠٣م.

[3] -التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية):٢/٣٣٤ ، وبدائع السلك في طبائع الملك:٢٦٢.

في قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[الكهف:٦٦ -٦٩] فهذه الآيات بيَّنت مدى تحري الخضر في اختيار من يأخذ عنه، وأنه ليس كل طالب مؤهلاً لتحصيل كل علم، كما أظهر حوار الخضر وموسى، وكانت المقابلة الشخصية التي أجراها الخضر لموسى عليه السلام دالة على أهمية التعرف على الطالب على الطالب ونفسيَّته ومدى أهليته وكفاءته العلمية، وقبوله والتزامه بالشروط، وقدرته على التعامل مع المواقف والتجارب التي يراها ويعيشها. فالناس كما قال ﷺ«الناس كإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»[1].

٢ -اعتماد التربية العملية كأسلوب من أساليب التعليم الريادي بأنواعه: النظرية والتطبيقية والتفاعلية، ووسيلة من وسائل النهوض المجتمعي. وهذا ظاهر في قصتي سيدنا موسى عليه السلام وذي القرنين، ففي قصة موسى والخضر اعتمد الخضر في تعليمه موسى على الجانب العملي، في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لبيان طبيعة هذا العلم، فيما أشرك ذو القرنين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً في أعمال إنشائية ومشروع إستراتيجي يحتاج إلى عقول هندسية وملكات إبداعية وطاقات إنتاجية لإقامته كجزء من التطبيق العملي والتعليم التفاعلي.

٣ -رعاية المتميزين والمبدعين. وهذا مستنبط من اختيار موسى لفتاه يوشع بن نون -دون غيره - لمرافقته له في رحلته، هذا الاختيار والاصطفاء فيه نوع من الرعاية، كما أنَّ مصاحبة موسى عليه السلام للخضر دون يوشع بن نون مع أنهما كانا في نفس الرحلة دال على أهمية الاختيار النوعي للطلاب، ومن ثَمَّ رعايتهم ومصاحبتهم وملازمتهم لمعلميهم.

٤ -التأهيل العلمي والعملي للشرائح والفئات الأقل تعليماً وغير المتعلمة. وهذا مستنبط من قوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ [الكهف:٩٣] فهذه الآية التي بيَّنت مدى ضعف الإدراك والقدرات الذاتية والعقلية والاستيعابية لهذه الفئة الموجود في هذه المنطقة الجغرافية من الأرض، ووصفها بقوله: لا يكادون يفقهون قولاً؛لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم"[2]. واتصافهم بهذا الوصف لم يمنع ذو القرنين من إشراكهم في بناء هذا المشروع المعجزة، بعد أن أهَّلهم علمياً وعملياً.

٥ -التواصل الحضاري الثقافي والتبادل العلمي والمعرفي بين الأمم والشعوب. وهذا ظاهر من رحلات ذي القرنين التي بلغ بها أطراف الأرض، وفي هذه الرحلات تعرف على طبائع وعادات الأمم والشعوب

[1] - صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب رفع الأمانة:٨/ ١٣٠، رقم الحديث:٦٤٩٨.

[2] -أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣/٥٢٢، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:٤/٢٧٨.

وثقافاتهم وأنماط معايشهم. ويمكن القول: إن تعلم اللغات الأخرى مطلب شرعي قبل أن يكون مطلباً علمياً؛ لتحقيق تواصل بنَّاء وهادف وناجح يحقق مقاصد الشارع الحكيم. وتستنبط هذه النظرية من حاجة ذي القرنين لمعرفة لغة القوم وحاجتهم للتعرف على لغته، ويدخل في تعلم اللغات تعلم وتعليم لغة الإشارة لمن يحتاجها فقد قيل: إن ذي القرنين تفاهم مع القوم بالإشارة[1].

المبحث الثالث: المفاهيم والدلالات الاجتماعية في سورة الكهف

المطلب الأول: زينة الحياة الدنيا بين الأبناء والبنات.

ذكر الله تعالى الزينة في سورة الكهف في ثلاثة مواضع هي: قوله تعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف:٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿الْمَالوَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] وهذه الآية نصَّت على أن الأبناء زينة، وبالنظر والتأمل في نصوص القرآن والسنة سنجد أن لفظ الأبناء يطلق غالباً على الذكور دون الإناث، كما في قوله تعالى:﴿وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾[الأنعام:١٠٠] وقوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. وقوله تعالى:﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِن﴾ [الأحزاب:٥٥] وقوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ﴾[غافر:٢٥]. ومن هنا ينشأ تساؤل: هل الإناث من زينة الحياة الدنيا كالبنين، وذكر لفظ الأبناء في هذه الآية تغليباً والبنات داخلات فيهم؟ كما في قوله تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل،الآية:٧٢] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾ [الشعراء:٨٨] أم أنَّ زينة الحياة الدنيا تقتصر وتنحصر في الأبناء دون البنات؟ في حقيقة الأمر أن الشريعة الإسلامية لا تفرق بين الأبناء والبنات، وأمرت بالعدل بينهم، فقد قال ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[2] ولفظ الأولاد يشمل الذكور والإناث. وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ:«لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات»[3]. والاقتصار على ذكر الأبناء في هذه الآية ليس معناه تحيز القرآن للأبناء دون البنات، وإشارة إلى تكريمهم دونهن، فالآية لا تدل على تفضيل الذكور على الإناث والأبناء على البنات من وجوه:

الأول: الآية وردت في سياق الرد على من افتخر بالمال والأبناء كعيينة بن حصن والأشعث بن قيس -كما هو مذكور في سبب نزولها - فكان إيراد العبارة بهذا اللفظ من باب المشاكلة.

الثاني: يمكن أن يقال: إن البنات داخلات في الأبناء، وإنما ذكر الأبناء تغليباً، كما في آيتي سورتي النحل والشعراء السابقتين.

---

[1] -تفسير الشعراوي:٣٣٦١.

[2] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الإشهاد في الهبة:٣/٢٠٦، رقم الحديث:٢٥٨٧.

[3] -مسند أحمد بن حنبل، ٤/١٥١،رقم الحديث:١٧٤١١، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة وقدتفردبه.

الثالث: ذكرت الآية الأبناء دون البنات بياناً لطبيعة ونظرة العرب وموقفهم تجاه البنات، لا على سبيل الموافقة والإقرار لهم في تصوراتهم ومكنونات أنفسهم فيما يتعلق بالنظرة القاصرة والمجحفة في حق البنات، القائمة على الكراهية والرفض والتمييز السلبي كما بيَّن القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ(٥٧)وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨)يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل:٥٧ -٥٩] وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل:٦٢] وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف:١٦ -١٧] فليست آية الكهف إقراراً بواقع وتأكيداً لنظرة ونظرية جاهلية تقول بتفضيل الأبناء على البنات، وإنما خصَّت الآية الأبناء بالذكر لبيان واقع جاهلي يفاخر فيه الآباء بالأبناء ويفضلونهم ويميزونهم ويحبونهم ويتزيُّنون بهم دون البنات، وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[آل عمران:١٤] فذكر حبهم للبنين دون البنات، ومن المعروف أنَّ الاغتباط بالمال والبنين شنشنة معروفة في العرب[١]؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا[٢]. ولو نصَّ القرآن في هذه الآية على أن البنات زينة للحياة كالبنين فإن ذلك سيكون متصادماً مع ذلك الواقع، وسيكذّب المشركون هذه الآية فيقولون: البنات لا نتزين بهن ولسن من الزينة في شيء في واقع تلك المجتمعات، فالقرآن ليس صادقاً فيما ذكر.

هذه النظرة والنظرية الجاهلية المتعلقة بالبنات عالجها الإسلام في كثير من نصوص الوحي، لتؤكد وتدل على حقيقة شرعية هي أن البنات زينة للحياة كالأبناء، وأن مفهوم الزينة شامل للأولاد ذكوراً وإناثاً. ومن هذه النصوص ما يوجب العدل بين الأبناء والبنات، بل جاءت النصوص الكثيرة الدالة على ضرورة وأهمية تكريم المرأة والفتاة بما يرفع عنها ذلك الحيف، وركزت على حقوق المرآة وبيَّنت أجر من كرَّمها ورعاها وبرَّ بها، فتكون نصوص الوحي بذلك قد انتصرت للمرأة ضد هذه النظرة الجاهلية، ورفعت عنها ذلك الحيف، وأعادت لها اعتبارها الإنساني. فقد جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات، وجعلت تربية البنات والأخوات سبباً في دخول الجنة، فقال ﷺ:«من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة»[٣] وفي رواية ابن ماجة:«كُنَّ له نجاة من النار»[٤] وفي رواية أحمد: « كنت أنا وهو كهاتين

---

١ -التحرير والتنوير: ١٥/٧٦.

٢ -النكت والعيون:٣/٣١٠.

٣ -سنن الترمذي:٤/٣٢٠، رقم الحديث:١٩١٦.

٤ -سنن ابن ماجة: ٤/٦٣٥، رقم الحديث:٣٦٦٩.

وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى»[1]. وفي رواية أخرى عند أحمد: (فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة)[2] وقد جاء في سورة الكهف ما يشير إلى هذا التكريم، في قوله تعالى: ﴿الْمَالوَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلً﴾ [الكهف:٤٦] فقد ذكر بعض المفسرين أن الباقيات الصالحات هن البنات قاله عبيد بن عمير[3] واستدل على ذلك بما يأتي:

١- أوائل الآية تحدثت عن الأبناء فنهايتها تدل على أنها في البنات قال تعالى:﴿ الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ ثم قال: ﴿وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ﴾ يعنى البنات الصالحات هن عند الله لآبائهن خير ثوابا، وخير أملا في الآخرة لمن أحسن إليهن.

٢- ماروته عائشة رضي الله عنها قالت:جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتهما ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»[4].

٣- وروي عن النبي ﷺ أنه قال:« لقد رأيت رجلا من أمتي أمر به إلى النار فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن: رب إنه كان يحسن إلينا في الدنيا فرحمه الله بهن»[5].

ومما يؤكد ما ذهب إليه عبيد بن عمير ما ذكره قتادة في قوله تعالى:﴿فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [الكهف:٨١] قال: أبدلهما منه ابنة فتزوجها نبي فولدت له اثني عشر نبياً[6].

فهذه هي نظرة الإسلام للمرأة، والتي صوبت وصححت النظرة الجاهلية، حتى رأى سلفنا أن من يُمْن المرأة تبكيرها بولادة الأنثى قبل الذكر، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ﴾ [الشورى:٤٩] فبدأ بالإناث قبل الذكور[7]. وبهذا يظهر أن البنات من زينة الحياة الدنيا، شأنها في ذلك شأن الذكور.

المطلب الثاني: مفهوم العزلة والخلطة في ضوء سورة الكهف

من المفاهيم الاجتماعية التي تناولتها سورة الكهف مفهوم العزلة والخلطة، واللذان ظهرا بارزين في أكثر من موضع منها: قصة أصحاب الكهف، وقصة الخضر، ومخالطة المؤمن لصاحب الجنتين مخالطةً وصفته

---

١ -مسند أحمد:١٤٧/٣، رقم الحديث:١٢٥٢٠.

٢ -مسند احمد:٣٠٣/٣، رقم الحديث:١٤٢٨٦.

٣ -الجامع لأحكام القرآن:٤١٥/١٠.

٤ -صحيح مسلم، كتاب ، باب فضل الإحسان إلى البنات:٣٨/٨ ،رقم الحديث:٦٨٦٣.

٥ -لم أجده في كتب السنة وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن:٤١٦/١٠.

٦ -الجامع لأحكام القرآن:٤١٦/١٠.

٧ -الجامع لأحكام القرآن:٤٨/١٦.

بالصاحب، غير أن كثيراً من الناس أشكل عليهم فهم حقيقة العزلة وزمانها ودواعيها ومقتضياتها، وحُكْمُها وأحكامها وحِكَمُها، وهو ما احتاج منَّا إلى تحديد مفهومها، وبيان أحكامها وأنواعها. فالعزلة: تعني المفارقة والبعد والتنحي والهجر. وفي اصطلاح الدعاة يراد بها: إيثار حياة التفرد على حياة الجماعة، وذلك بأن يكتفي العامل بإقامة الإسلام في نفسه، غير مبال بالآخرين، وبما هم فيه من ضياع وهلكة. أو أن يقيم الإسلام في نفسه، ويسعى جاهداً لإقامته في الناس، ولكن بجهود فردية، بعيدة عن التعاون والتآزر من بقية العاملين في الميدان[1]. كما تعرَّف العزلة بـ: الابتعاد عن المجتمع عند فساد الزمان أو عند الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات[2] والخُلْطة يمكن القول بأنها: العُشْرة والموافقة والألفة، ومعايشة الناس والتواصل معهم، والقيام بالواجبات الدينية والاجتماعية تجاههم وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل العزلة كما جاءت نصوص في فضل الخُلطة، ولتعارض هذه الروايات رجح وفضَّل بعض العلماء الخلطة على العزلة، فيما رجح وفضَّل آخرون العزلة على الخلطة، ومن هذه النصوص:

أولاً: النصوص الواردة في فضل الخلطة:

١ - ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢ - ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

٣ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

٤ - عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم»[3].

٥ - قوله ﷺ:«عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفُرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بُحْبُوحة الجنة فليلزم الجماعةَ»[4].

ثانياً: النصوص الواردة في فضل العزلة:

١ - عن أبي سعيد قال:قيل:يا رسول اللَّه، أي الناس أفضل؟قال:«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا:ثمَّ من؟ قال:«مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شرِّه »[5].

---

[1] -موسوعة البحوث والمقالات العلمية:١

[2] -دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:٥/٣٦.

[3] -سنن الترمذي، كتاب باب٥٥، ٤/٦٦٢، رقم الحديث:٢٥٠٧،صححه الألباني وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء:٥/١٥٢، رقم الحديث:٤٠٢٣.

[4] -مسند أحمد:٥/٣٧٠،رقم الحديث:٢٣١٩٤،وسنن النسائي:٨/٢٨٦، رقم الحديث:٩١٨١، وسنن الترمذي:٨/٣٢٨، رقم الحديث:٣٢١٨

[5] -صحيح البخاري،باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه:٤/١٨،رقم الحديث:٢٧٨٦،صحيح مسلم:باب فضل الجهاد والرباط:٦/٣٩، رقم الحديث:٤٩٩٤.

٢ - وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك أن يكون خير مال المسلمِ غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[١].

٣ - قال رسول اللهﷺ:«ليسعك بيتك وأبك من ذِكر خطيئتك وأمسك عليك لسانك»[٢].

٤ - اعتزل بعض أصحاب بدر بيوتهم بعد قتل عثمان ﷺ فلم يخرجوا إلاَّ إلى قبورهم[٣]،وقداعتزل قبلهم أبو ذرﷺبالربذة حتى مات، واعتزل قبلهم جميعاً أصحاب الكهف، كما ذكرنا.

والذي يظهر والله أعلم: أن العزلة والخلطة راجعتان إلى حال المسلم وظروفه التي يعيشها، فالخلطة تكون أفضل ما سلِم من الفتن والظلم، وسلِم الناس من شرِّه، ولم تكن ثمة حروب[٤].قال الإمام الغزالي: "وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار. أي: ولا ريب في مشروعيته فراراً من الفتن. فدلّت الآية على العزلة عن الناس وذلك مندوب إليه عند فساد الزمان، وتغير الأحوال والإخوان"[٥]. قال ابن كثير: "ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع"[٦]. ويظهر خطورة العزلة في نهي النبي ﷺ عن التَّعَرُب بعد الهجرة لِما لها من خطر عظيم، فسكنى البادية لمن قد سكن الحاضرة خطر على دينه وأخلاقه وقيَمه، وأخرج أحمد أن النبي ﷺقال:«من بدا جفا»[٧] فلا تكون هذه الهجرة والاعتزال إلى البدو والأودية والجبال إلا عند عدم وجود معين على تغيير المنكر والأمر بالمعروف[٨].وقال بالمعروف[٨].وقال المباركفوري: "في الحديث[«المؤمن الذي يخالط الناس»]أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكرِ ويحسن معاملتهم، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة والأَحوال تختلف باختلاف الأَشخاص والأَحوال والأَزمان ولكل حال مقال"[٩].وقال الزحيلي: "وهذه الحالة المستثناة لجواز العزلة عن الناس باتفاق العلماء مقصورة على حال خشية الفتنة في الدين. وأما ما عدا ذلك فالمخالطة أفضل من العزلة"[١٠].

<u>أنواع العزلة:</u> العزلة أنواعوكل نوع يتناسب مع طبيعة الظرف الذي يعيشه الإنسان، ومن هذه الأنواع:

١ - العزلة الجسدية الكاملة. وقد تكون معلومة المكان أو سرِّية كالتي سلكها أصحاب الكهف.

---

[١] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب:من الدين الفرار من الفتن:١/١١، رقم الحديث:١٩.

[٢] -المعجم الأوسط للطبراني:٦/٦٢، رقم الحديث:٥٧٩٩.

[٣] -الجامع لأحكام القرآن:١٠/٣٦٢.

[٤] -المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:٦/٣٦٥.

[٥] -إحياء علوم الدين:٢/٢٥٥.

[٦] -تفسير القرآن العظيم:٥/١٤٢.

[٧] -مسند أحمد:٢/٣٧١، رقم الحديث:٨٨٢٣. وضعفه الألباني والأرنؤط.

[٨] -دروس للشيخ محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي: العزلة في زمن الفتن:٤٤/٢٥.

[٩] -تحفة الأحوذي:٦/٢٩٩.

[١٠] -التفسير المنير:١٥/٣١٢.

٢ - العزلة المؤقتة. وهي خلاف ما يمارسه الإنسان فتكون استثناء عن الأصل، فالإنسان له حضوره ودوره الاجتماعي الذي يمارسه من خلال مخالطته أفراد مجتمعه أو فئة منهم، وحضوره نقاشاتهم، فإذا ما صدر منهم ما يدعوا لاعتزالهم اعتزلهم، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] وقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]. فهذه عزلة مؤقتة للجدل والمجادلين. فهذه العزلة للمنكرات ومواقعها، وما يؤدي إلى المفاسد، مع قيامة بما يجب عليه وما لا بد له منه، وإنما يترك فضول الصحبة، ويعتزل المنكر وما لابد من اعتزاله، حتى يسلم من المفاسد.

٣ - العزلة الشعورية والذهنية والقلبية. وذلك عند الحاجة للعزلة وتعذر تنفيذ العزلة البدنية الكاملة أو المؤقتة، سواء العزلة الكاملة أو المؤقتة. وذلك باعتزال الشر وأهلة بالقلب مع بقائه بين ظهرانيهم. وقد جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما وقعوا وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم. فقال: لا تفعل إنه لا بد لك من الناس، ولا بد لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا، أعمى بصيرا، سكوتا نطوقاً[١].وقال ابن المبارك في تفسير هذا النوع من العزلة: "أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت"[٢].

٤ - العزلة الفكرية: وهي إحدى مشكلات الشباب المسلم المعتزل لفكره الإسلامي، ويتعرض لزحف وهجوم فكري من ثقافات دخيلة، أثرت على فكر وسلوك كثير منهم.

٥ - العزلة العكسية: وهي التي يقوم فيها المجتمع بعزل بعض أفراده على سبيل التأديب، والهجر. ومثاله: ما فعله المجتمع النبوي مع الثلاثة الذين خلّفوا.

٦ - العزلة الإيجابية: وهي نوع من العزلة المؤقتة، إلاَّ أنها عزلة تعود على صاحبها وعلى المجتمع بالفائدة، هذه العزلة هي التي يحتاجها الإنسان لتوليد الأفكار الجديدة وصقل المواهب، ومراجعة العلوم والمحفوظات، ودراسة وتحليل المواقف. فشدة المخالطة بالناس تستهلك الشخصية، وتستنفد الطاقة الفكرية والنفسية لدى المرء، وأفضل السبل لتجديدها هو الابتعاد والترفع لصقل الذات، واستعادة الجاذبية الفكرية والعلمية[٣]. وهذا النوع من العزلة كان يمارسه النبي ﷺ مرة كل عام في العشر الأواخر الأواخر من رمضان، حيث كان يضرب له خباء بالمسجد، لا يخرج منه إلاَّ للصلاة، فإذا فرغ من صلاته

---

[١] -المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين:١٤٠.

[٢] -المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين:١٤٠.

[٣] -مدخل إلى التنمية المتكاملة -رؤية إسلامية -:د.عبد الكريم بكّار:٢٢٢، دار المسلم، الرياض،ط١/١٩٩٧م،بتصرف.

رجع إلى خبائه[1] وفي حديثنا عن العزلة ينبغي الإشارة إلى أن العزلة اليوم ما عادت تقتصر على العزلة الجسدية بأنواعها المتعددة، فالمنكرات تعددت وتنوعت وسائل وأساليب دعاتها ومروجيها، لاسيما المنكرات المتسربة عبر الوسائل الالكترونية والتكنولوجية الحديثة التي أصبحت ملازمة للإنسان في كل مكان، وحتى في أوقات وأماكن خلوته، وأحياناً في لحظات عبادته، فكيف يعتزل الناس من وقع أسير فسادها وضحية طغيانها؟ فمن أراد اعتزال الفساد ووسائله ينبغي عليه أن يعتزل مفاسد هذه الوسائل.

إن سلفنا الصالح وعلماء الاجتماع كانوا يتحدثون عن العزلة ويرغبون فيها؛ لما لها من دور في صلاح وتأثير إيجابي على الإنسان وعلى علاقته وقربه من الله سبحانه وتعالى، أمَّا اليوم فقد صارت العزلة بصورها المعاصرة –والتي اشرنا إلى بعضها – معاناة اجتماعية ودينية، وتأثيرها أكثر سلبية من ذي قبل؛ لأنها لا تُقرِّب الإنسان من ربه بل تزيده بعداً، كما أنها تبعده عن أقرب الناس إليه من أهله وأصحابه، فهو يمارس معهم العزلة الشعورية التي تحدثنا عنها، بحيث يكون معهم بجسد لا روح فيه، بعيداً كل البعد عن مشاكلهم واحتياجاتهم، بما ينعكس سلباً على المعتزل وعلى أسرته ومجتمعه، وهو ما يحتاج من الجميع لوقفة جادة وصادقة لإيجاد حلول ناجعة لمشكلة العزلة الأسرية، التي أصبحت من أبرز المشاكل الأسرية المؤثرة في الحياة الاجتماعية والمجتمعية، وانعكست آثارها على كافة الأصعدة.

المطلب الثالث:صلاح الآباء وسريان أثره إلى الأبناء والمجتمع

من الدلالات الاجتماعية التي أشارت إليها سورة الكهف طبيعة علاقة الآباء بالأبناء وصلاح الآباء وسريان آثاره إلى الأبناء ومن ثَم إلى المجتمع. وهو ما أشار إليه قوله تعالى:﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢] وبما أن للآباء دوراً هاماً في تنشئة الأجيال، وأثراً عميقاً في نفوسهم، بصَّرت سورة الكهف الآباء بواجبهم وحقيقة رسالتهم تجاه أبنائهم وطبيعة علاقتهم بهم وبمجتمعهم، ووضعت الموجهات التي ينبغي أن يسيروا عليها ويعلموها ويورثوها أولادهم، وكان من أبرز هذه الموجهات صلاح الآباء، فهو سر نهضة الأمم والشعوب، فصلاح الأجيال والمجتمعات منوط بصلاح الآباء، وإذا فسد الآباء فسد الأبناء؛ فلا يستقيم الظل والعود أعوج. ومن هنا ركزت سورة الكهف على دور الآباء في مشاريع النهوض المجتمعي والإصلاح الاجتماعي،بخلاف نظريات بعض الساسةوالمفكرين المعتمدة والمقتصرة على الأجيال الجديدة من الأبناء، وإغفال جيل الآباء ودورهم، بحجة أنهم من وفَّر وحمى وصنع بيئة الفساد وشارك فيه؛ لعجزها عن التحرر من قيود وأفكار تلك البيئة. وهذه نظرة قاصرة وسطحية، فصلاح الأجيال القادمة منوط بصلاح الآباء، الذي سينعكس بدوره فكراً وسلوكاً على الأبناء، ويسهل ويسرع عملية التغيير والنهوض، ببركة صلاح الآباء وسريان أثره إلى الأبناء المتمثل: في الرعاية والعناية الإلهية بهم.

[1] -صحيح مسلم، كتاب :باب متى يدخل من أراد الاعتكاف:٣/١٧٥، رقم الحديث:٢٨٤٢، ومسند أبي عوانة:٢/٢٦١.

كما أن صلاح الآباء هو التأمين الحقيقي والرباني لحق وممتلكات الأبناء، وهو ما أشارت إليه سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢] فهذه الآية بيَّنت أن صلاح الأب كان سبباً في رحمة الله باليتيمين والحفاظ على كنزهما، ورعايته وعنايته سبحانه الخاصة بهما وبممتلكاتهما، وهذا ظاهر في قوله:﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾فلما ذكر رعاية مصالح اليتيمين؛ لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى اللّه تعالى؛ لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا اللّه سبحانه وتعالى"[١]. قال ابن كثير: " فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته ما ينفعهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت السنة به[٢]. وهذه الرعاية والعناية لا تقتصر على جيل الأبناء فقد تمتد إلى أجيال، فقد ذكر بعض المفسرين أن الأب الصالح كان الأب العاشر، وقيل: السابع[٣] ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]. كما أن هذه الرعاية والعناية لا تقتصر على الحياة الدنيا، فهي ممتدة برحمة الله وكرمه لتشمل العناية بهم في الآخرة، كما في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١]. قال الطبري: "والذين آمنوا وأتبعناهم ذريتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم؛ تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء"[٤].

<u>وتتفرع عن هذا القول مسألتان</u>: المسألة الأولى: أثر صلاح الآباء على الأبناء لا يقتصر على سِنٍّ معين. وهذا بخلاف ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة فقد ذكر أن أثر صلاح الآباء لا يكون ممتدا إلى الأبناء إلاَّ إذا كان الولد صبياً. مستدلاً على ذلك بأن الغلامين كانا صغيرين، كما يدل على ذلك وصفهما باليتم، فإنه لا يُتْم بعد البلوغ، إلا أن تكون آفة في العقل أو النفس، واللفظ يطلق على ظاهره ما لم يقم دليل يوجب تحويله عن الحقيقة إلى المجاز[٥]. والذي يظهر -والله أعلم- أن أثر صلاح الآباء يسري على الأولاد، أطفالاً كانوا أو صبياناً كانوا أو غلماناً بالغين وراشدين. ويدل على ذلك ما يلي:

١ - الآية ذكرت أنهما غلامين من غير إشارة لبلوغ أو عدمه، والغلام قد يكون بالغاً وقد يكون غير بالغ، وأغلب ما تطلق العرب هذا الوصف على الشاب البالغ صاحب الشارب الطري، وقيل: الغلام: هو الذي يغتلم،

---

١ -مفاتيح الغيب:٢١/٤٩٢.

٢ -تفسير القرآن العظيم: ٥/١٦٨.

٣ -غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٤/٤٥٣، وروح المعاني:٨/٣٣٦،والتفسير المنير للزحيلي:١٦/١٥، والظاهر أنه الأب الأول.

٤ -جامع البيان:٢٢/٤٦٧، وهو ما ذكره البغوي: معالم التنزيل:٧/٣٨٨.

٥ -زهرة التفاسير:١/٤٥٧٠.

يعني: يصل إلى سنٍّ يشتهي الأنثى[1] فكاد وصف الغلام ينحصر عليه،[2] .ولست هنا بصدد تحقيق إطلاق لفظ الغلام على من بلغ أو كان دونه؛ لكونها ثابتة ولبعدها عن محل النزاع، فما أريد إثباته هو أن منطوق الآية لا يدل على أنهما كانا دون البلوغ، واستدلاله على ما ذكر بوصفهما باليتيمين، لا يدل على أنهما دون البلوغ؛ فالآية تحدثت باعتبار ما كان، كقوله تعالى:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء﴾[النساء:٣] قال الألوسي: "فيحمل اليتامى في الآية على الحديثات العهد بالبلوغ"[3] . والاستدلال على عدم بلوغهما بقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٣].لا يصح؛ لأن الآية نص في بلوغ الأشُد لا بلوغ الحلم، والأشُد يختلف عن الحلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[يوسف،الآية:٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:١٤]. وقوله:﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف:١٥] فبيَّنت الآيات أن وقت إرسال الرسالات إلى الرسل يكون بعد بلوغ الأشد وهو اكتمال العقل والقوة المساعدة على تحمل مسؤوليات الرسالة، وفرْقٌ بين بلوغ الحلم وبلوغ الأشد الذي هو منتهى الشباب وشدته وقوته.

٢ - ومما يؤكد ما ذكرنا من أنَّ الرعاية ليست خاصة بصغار السن وإنها تشمل الذرية والأولاد وإن كانوا كباراً في السن ما ذكرته سورة القلم من قصة أصحاب الجنَّة، فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم، وعلامة انتفاعهم توبتهم[4] . وشمول جميع الأولاد بأثر صلاح الآباء أمرٌ فقهه الصحابة فروي: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لبعض الخوارج: بم حفظ اللّه مال الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما. قال: فأبي وجدي خير منه؟[5] .

وعليه فهذه فالآية يستنبط منها أن أثر صلاح الآباء يسري على جميع الأولاد دون اختصاص ذلك بسن معين. غير أنَّ مما يرد على هذا القول المعنى الوارد في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠] فإذا كان صلاح الأب قد امتد إلى ولديه، فنفعهما وحَفِظ لهما كنزهما الذي تركه لهما، فكيف لا ينفع إيمان الأبوين وصلاحهما هذا الغلام الذي قُتِل؟ وكيف لا ينفع صلاح الأبوين في استنقاذ ولد واحد، على حين ينفع صلاح أب وحده في استنقاذ ولدين؟[6] وآية الكهف قد ردت على هذا التساؤل بقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فسريان أثر الصلاح هو رحمة من اللّه ينزلها حيث يشاء،

---

[1] -لمسات بيانية لسور القرآن الكريم:١/ ٨٠.

[2] -كتاب العين:٤/ ٤٢٢، وتهذيب اللغة:٨/ ١٣٦، وتاج العروس:٣٣/ ١٧٦، والمحكم الأعظم:٥/ ٥٣٧، والمعجم الوسيط:٢/ ٦٦٠.

[3] -روح المعاني:٢/ ٤٠١.

[4] -أيسر التفسير للجزائري:٤/ ٢٩٦.

[5] -مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٩٢، وروح المعاني:٨/ ٣٣٦،و نظم الدرر:٤/ ٤٩٨.

[6] -التفسير القرآني للقرآن:٨/ ٦٦٥.

ويختصّ بها من يشاء، حسب ما تقضى به حكمته، ويحكم به علمه في خلقه،كما يقول سبحانه: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ﴾ [يوسف:٥٦] فالأمر قائم على الرحمة.

وما يقال في سريان صلاح الآباء على الأبناء وظهور آثاره عليهم يقال أيضاً في صلاح الأبناء والذرية وظهور آثاره على الآباء، ومن ذلك ما جاء في قوله ﷺ:«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث:صدقةجارية،أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعوا له»[١].وقولهﷺ:«إنَّ الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول:أنَّى هذا؟ فيقال:باستغفار ولدك لك»[٢].وقولهﷺ:«مَنْ قرأ القرآن وعمل بما فيه أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تاجاً يوم القيامة ضوْؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم»[٣].وفي رواية أحمد: «ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان:بم كسينا هذه؟فيقال:بأخذ ولدكما القرآن»[٤].

<u>المسألة الثانية:</u> فساد الآباء وانعكاس أثره على الأبناء. ذكر غير واحد من العلماء أن فساد الآباء ينعكس أثره على الأبناء، مستدلين على ذلك برواية خطبة عليرضي الله عنه بنت أبي جهل[٥] فسمعَت بذلك فاطمة فأتت رسول اللَّه ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول اللَّه ﷺ فسَمِعْتُهُ حين تشهد يقول: «أما بعد: أنْكَحْتُ أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدَقَني، وإنَّ فاطمة بضعة مني وإنِّي أكره أن يسوءها، واللَّه لا تجتمع بنت رسول اللَّه ﷺ وبنت عدو اللَّه عند رجل واحد»[٦]. فذكروا أن من آثار الكفر العار، وهذا العار يبقى في الأبناء، فقالوا: "وفيه بقاء عار الآباء في الأعقاب وأنهم يُعَيَّرون به، كما عيَّر رسول الله ﷺ بنت أبى جهل وهى مسلمة بعداوة أبيها لله، فحط بذلك منزلتها عن أن تحل محل ابنته"[٧].والذي يظهر –والله أعلم –: أن آثار الكفر أو فساد الآباء لا يلحق الأبناء منه شيء؛ لما يلي:

١ – مخالفة ذلك للنصوص القرآنية المبينة أن الإنسان لا يحاسب ولا يؤخذ بذنب وجريرة غيره. ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء:١٥] وقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

٢ – ما جاء في هذا الحديث ليس فيه تعيير لابنة أبي جهل، وإنما قال النبي ﷺ ما قاله لبيان مناقب فاطمة وبيان فضلها على ابنة أبي جهل وغضباً لفاطمة، كما في الحديث: (يزعم قومك أنك لا تغضب

---

[١] –صحيح مسلم، كتاب، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد موته.٥/٧١،رقم الحديث:٤٣١٠.

[٢] –سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب :٤/٦٣١، رقم الحديث:٣٦٦٠، ومسند أحمد:٢/٥٠٩، رقم الحديث: ١٠٦١٨.

[٣] –سنن أبي داوود بتحقيق الألباني،باب في ثواب قراءة القرآن:١/٥٤٣، رقم الحديث:١٤٥٥.

[٤] –مسندأحمد:٥/٣٤٨، رقم الحديث:٢٣٠٠٠.

[٥] –اختلف في اسمها فقيل:جويرية وهو الأشهر، وقيل:العوراء، وقيل:الحنفاء، وقيل:جرهمة، وقيل:جميلة. أنظر:فتح الباري:٧/٨٦.

[٦] –صحيح البخاري،باب ذكر أصهار النبي ﷺ:٥/٢٢،رقم الحديث:٣٧٢٩.صحيح مسلم، باب فضائل فاطمة:٤/١٩٠٣، رقم:٢٤٤٩.

[٧] –أنظر: فتح الباري لابن حجر:٩/٣٢٩، وشرح صحيح البخاري لابن بطال:٧/٣٥٥، وحاشية ابن القيمعلى سنن أبي داود:٦/٥٥.

لبناتك)لا تعييراً؛ لأن في التعيير طعن وانتقاص من المعيَّر، وحاشاه ﷺ أن يقع فيما حذر منه، فهو القائلﷺ: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذيء»[1]. والقائل ﷺ:«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2]، فهذا القول كان رعاية لخاطر فاطمة رضي الله عنها، من غير إساة لغيرها، كما أنَّ منع النبيﷺ علياً ﷺ من الزواج كان لذات الغرض، وخشيتهﷺمن تأثم علي ﷺ من إيذاء النبي بإيذاء فاطمة رضي الله عنها،وقد جاء في الحديث السابق:«وإنِّي أكره أن يسوءها»وفيرواية:«إنَّ فاطمة مني وإنِّي أتخوَّف أن تفتن في دينها»[3]وعندالترمذي:«إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها»[4]

٣ - مما يؤكد أن هذا ليس تعييراً أن النبي ﷺ زوج بناته ممن كان آباؤهم كفرةً ومنهم علي بن أبي طالب، فلو كان الصحابة يُعيَّرون بكفر آبائهم ويمنع ذلك من مصاهرتهم للحق هذا العارُ أصهارهﷺ، وتزوج هو ﷺ من صفيَّة بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، وأبوها رأس من رؤوس الكفر، وعندما دخل عليها النبيﷺ وهي تبكي. قال: «ما يبكيك؟» فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي فقال النبيﷺ :«إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة»[5].فالظاهر من الحديث أنه ﷺ لم يعد ذلك تعييراً، وإنما دعا حفصة إلى تقوى الله في تعاملها مع صفية وعدم إغضابها.

المبحث الرابع: المفاهيم والدلالات والقواعد الإدارية والتنموية في سورة الكهف

المطلب الأول: مقومات الإدارة الناجحة:

أشارت سورة الكهف إلى العديد من المقومات الإدارية وصفات الإداري والقائد الناجح، وهذه المقومات منها ما يندرج تحت المقومات الشخصية ومنها ما يندرج تحت المقومات إدارية، ويمكن إجمال المقومات الإدارية وصفات الإداري الناجح التي دلَّت عليها سورة الكهف فيما يلي:

١ - الهمة، والثقة بالنفس، والعلم، والخبرة، والإبداع، والقدرة على التخطيط والتنفيذ، المهارات الشخصية والملكات الإدارية والمؤهلات العلمية. وهذه الصفات للإداري الناجح نجدها بارزة في شخصية ذي القرنين وسيدنا موسىعليه السلام وفي الآيات التي تناولت قصتيهما.

---

[1] -مسند أحمد:١/٤٠٤، رقم الحديث:٣٨٣٩.

[2] -صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده:١/٩، رقم الحديث:١٠.

[3] -صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ:٧/١٤١،رقم الحديث:٦٤٦٢.

[4] -سنن الترمذي،تحقيق الألباني، باب فاطمة بنت النبيﷺ: ٥/٦٩٨، رقم الحديث:٣٨٦٩.

[5] -سنن الترمذي، باب فضل أزواج النبيﷺ:٥/٧٠٩، رقم الحديث:٣٨٩٤، صححه الألباني.

٢ - القدرة والكفاءة. بيَّنت سورة الكهف أن كل متولٍ لقيادة أوعمل ينبغي أن يكون قادراً على القيام بما وكل إليه أو التزم به. فذو القرنين عندما التزم ببناء السد نفذ وعده وشيَّد بنيانه.﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[الكهف:٩٥].

٣ - الأمانة. ويتفرع منها الرقابة الذاتية والمبادرة لأداء العمل على أتم وجه. كما تشمل أمانة الفكر والرأي والموقف. ونسبة الفضل والعلم لأهله. قال تعالى -على لسان الخضر -: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] وقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨].

٤ - الحلم والصبر . وهذه المقومات ظاهرة في حوار المؤمن مع صاحب الجنتين، فبالرغم من أنه تلفظ بما لا ينبغي له التلفظ به وبما هو كفر: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٥ -٣٦] تعامل معه المؤمن بحلم وصبر، ووصفه القرآن بالصاحب مع كونه كافراً،بما يدل على جواز ومشروعية ملازمته له مع كفره طالما أنه يقوم بدوره التربوي والشرعي في إسداء النصح وتغيير المنكر.

٥ - الرفق الرحمة واللين. وهذا متفرع عن الحلم والصبر لا أنه نتيجة ضعف وعجز. ويدل علي هذه المقومات ما ذكرناه في النقطة السابقة، كما تدل عليه كل مواقف الخضر، من خرقه للسفينة، وقتله الغلام، وبنائه الجدار، كلها قامت على أساسي الرفق والرحمة بجميعهم.

٦ - الحزم والقوة والعدالة والتقوى عند اتخاذ القرارات: قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[الكهف، الآيتان:٨٧ -٨٨].

٧ - ملكة التطوير الذاتي للمعارف العلمية والمهارات الإدارية. فرحلة سيدنا موسى عليه السلام يمكن لنا القول: إنها كانت لهذا الغرض، كما يمكن القول: إن عزلة الخضر في بعض الفترات والأوقات ومنها الوقت الذي وجده فيه موسى عليه السلام كانت أيضاً لذات الغرض، وهو ما أشرنا إلية سابقاً في حديثنا عن العزلة الإيجابية[١].

٨ - الاستماع الجيد. ومن المقومات الإدارية للقائد الناجح الاستماع الجيد، وهذه الفقرة ناتجة عن سابقتها، وظاهرة في حوار المؤمن لصاحب الجنتين، وحوار الناس لذي القرنين.

٩ - تحديد أهداف العمل. فقد حدد موسى عليه السلام لفتاه العمل المنوط به.

---

١ -السلوك الإداري في صحيح البخاري:١/٧ -بتصرف -.

١٠ - توفير الإدارات والتخصصات التي يحتاج إليها القائد والإداري. ويدل على ذلك احتياج ذي القرنين واستخدامه للمترجمين، وخبراء التصنيع، والأيدي العاملة.

١١ - المبادرة للفعل وعدم التأجيل والتسويف فيها. قال تعالى:﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف، الآيتان:٢٣ -٢٤].

١٢ - استخدام مبدأ الثواب والعقاب، الظاهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:٧٨]وقوله:﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا(٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٧ -٨٨].

١٣ - جمع وتحليل المعلومات. وهذا مستنبط من أفعال ذي القرنين، فقراره تعذيب من ظلم والإحسان إلى من آمن يرتكز على معلومات وتحقق وتحليل وبيان لمعنى الظلم وصوره.

المطلب الثاني: مسائل إدارية في سورة الكهف

المسألة الأولى: أركان العملية الإدارية. أشارت سورة الكهف إلى أركان العملية الإدارية المتمثلة في: التخطيط، التنفيذ، الإشراف والمتابعة، والتقييم. وهذه الأركان الأربعة ظاهرت بشكل جلي في قصة ذي القرنين. فأما ظهورها في قصة ذي القرنين ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٣ -٩٨]فهذه الآيات وضحت أركان العملية الإدارية الأربعة: بداية بتخطيط ذي القرنين لمعالجة المشكلة التي عُرضت عليه، والنظر إلى مشروع حلها والمعالجة المقدمة من القوم لتلك المشكلة، واختيار البدائل، تطبيق أفضلها على الواقع،والأثر والمدى الزمني لفاعلية هذا الحل،فذكر حلاً ناجعاً أكثر فاعلية وأطول زمناً فكان أن خطط للردم. ثم وضع خطةً لتنفيذ هذا المشروع الاستراتيجي، وقامت هذه الخطة على تحديد الاحتياجات المادية الطبيعية والبشرية والخبرات المؤهلة لتنفيذ المشروع، والعمل على توفيرها، إضافة إلى تحديد الكلفة الإنتاجية. وبعد وضع خطة دقيقة وشاملة لبناء المشروع تُحقق الهدف من إقامته، وتأكده من إمكانية إنشاء المشروع على أرض الواقع عمِل على القيام بالخطوة الثانية من أركان الإدارة وهي التنفيذ بقوله : ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[الكهف:٩٦].﴾.فتم التنفيذ وفق آلية علمية وعملية إدارية ناجحة، وبعد التنفيذ الذي ارتبط وترافق مع عملية التنظيم والتوجيه والإشراف جاءت المرحلة الرابعة المتمثلة في التقييم والتي أشار إليها قوله تعالى:﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف:٩٧]. ولم تقتصر السورة على الإشارة إلى

أركان الوظيفة الإدارية فقط إذ أشارت إلى أهمية الدمج بين الكفاءة والفاعلية، فالكفاءة: هي حسن استخدام الموارد بأنواعها: البشرية، والمادية، والمالية. أما الفاعلية: فتعني أنها قادرة على تحقيق أهدافها المرسومة بأول فعل[1]. فالكفاءة والفاعلية تحقق الأبعاد الثلاثة للإدارة الناجحة: صحة العمل، وصحة ومناسبة وتسلسل وترتيب طريقة أداء للعمل، المناسبة الزمنية للعمل، بأقل تكلفة وأدنى جهد وأقصر وقت، وأول فعل[2]. وهذا ما ظهر جلياً في بناء ذي القرنين السد.

المسألة الثانية: اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب. ليكون هذا جزاء من حل المشكلات، وخلاف هذا سيفضيلمزيداً من المشكلات ولا يسهم في حلها. واتخاذ القرارات السليمة عملية تمر بمراحل منها: تحديد المشكلة، وتحديد الهدف، واختيار الحلول والبدائل، ثم اتخاذ وتنفيذ القرار الناجح والسليم. وسورة الكهف مليئة بنماذج لكيفية معالجة المشكلات واتخاذ الحلول والقرارات الصحيحة، ابتداء بمعالجة مشكلة أصحاب الكهف مع ملكهم، ومشكلة المؤمن مع صاحب الجنتين، كل هذه النماذج بيَّنت وحددت للمشكلات، وطرق ووسائل وأساليب وقرارات المعالجة وآثارها، كما بيَّنت مشاكل المجاميع البشرية التي زارها ذو القرنين. وطبيعة قراراته التي اتخذها لمعالجة تلك المشكلات. واتسمت هذه الحلول والقرارات بكونها مناسبة وسيلة وزمناً، إذا ما روعي الظرف الذي اتخذت فيه القرار، كهروب الفتية، ومناصحة ومصارحة صاحب الجنتين، ومفارقة الخضر لموسى عليه السلام، كما اتسمت هذه القرارات بكونها عادلة، كما هو وارد في الفقرة التالية.

المسألة الثالثة: إنجاز الأعمال من خلال الآخرين. والعمل بروح الفريق الواحد. وهذا ظاهر في تكليف موسى عليه السلام لفتاه إنجاز بعض التكاليف ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢] وبعض هذه التكاليف وإن كانت بسيطة وسهلة إلاَّ أن القيام والانشغال بها يأخذ وقتاً وجهداً، ويؤخر إنجاز الأعمال الأكثر أهمية وقد يصرف الإنسان عن أهدافه. ويظهر الإنجاز من خلال الآخرين أيضاً من تكليف ذي القرنين القوم ببعض الأعمال التي أهَّلهم للقيام بها ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦]. والإنجاز من خلال الآخرين في الحقيقة لا يتم إلاَّ ببناء وتبادل الثقة معهم، فبفقد الثقة بأمانتهم أو كفأتهم لا يتحقق إنجاز، وستشغل القائد والإداري بمتابعة قصور أفراده وتآمراتهم، ويضطر لمباشرة بعض الأعمال العادية بنفسه، وهذا يستهلك ويشغل ويشوش ويشتت جهده وفكره الذي ينبغي أن يكون مركزاً في أمور تستحق منه ذلك. فتكليف الآخرين ممن توفر فيهم الأهلية يعمل على تفرغ القائد للأمور الأهم، كما أن الإنجاز من خلال المؤهل المختص سيكون أكثر جودة من قيام القائد به.

---

[1] -كيف تكون إدارياً ناجحاً:٢.

[2] -الوقت وأهميته في حياة المسلم:١٠٠.

المسألة الرابعة:عدم الجزم بالنتائج قبل معرفة طبيعة التكاليف ومضامين الاتفاقيات. وهذا مستنبط من قصة موسى عليه السلام مع الخضر وقصة ذي القرنين، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٦ -٦٩] فمعرفة التفاصيل الدقيقة والاتفاق عليها هو ما يحقق النجاح ويمنع الخصومة والنزاع، ويميز الناجح من غيره، ويعكس الصور الإيجابية عن الإدارة والقائمين عليها. وإغفال ذلك غالباً ما يؤدي إلي الفرقة، وهو ما جاء في قصة سيدنا موسى عليه السلام فقد جزم بقدرته على الصبر وموافقته على عدم السؤال والاعتراض مع عدم علمه بما سيلاقي وما سيتعرض له من مواقف.

المسألة الخامسة: المشاركة الأهلية في التنمية المجتمعية، ودورها في إنجاح وحماية المشاريع.

وهذا ظاهر في إشراك ذي القرنين القوم ببناء السد، هذه المشاركة لها أهميتها ودورها في إنجاح المشاريع النهضوية، وسرعة إنجازها، والحفاظ عليها بعد تجهيزها؛ لأن مشاركتهم ومساهمتهم الفعَّالة تؤكد تملكهم المشروع، ومن ثم يحرصون على نجاحه والحفاظ عليه بعد إنشائه. كما أن المشاركة المجتمعية تولد ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم وتشعرهم بدورهم الإيجابي وكفاءتهم، وثقة القيادة بهم. كما تعمل على خلق روح التعاون والتآلف والشراكة بين السلطة وأفراد المجتمع.

المسألة السادسة: تأهيل القدرات وتطوير الطاقات العلمية والتقنية للأفراد. ويُستَنْبَط ذلك من فعل ذي القرنين بعد وصوله إلى قوم لا يكادون يفقهون قولاً كما نصت الآية، قال ابن عاشور: "أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة، بحيث لا يعرفها تراجمة ذي القرنين؛ لأن شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليترجموا لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم، فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الأصقاع المعروفة فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك ولا هم يستطيعون الإفهام"[1]. ومع عجزهم عن فهم وإفهام غيرهم، فقد كانوا أيضاً عاجزين عن مواجهة فساد يأجوج ومأجوج، ويتعرف ذي القرنين على قدراتهم من خلال تقديمهم مقترحات المعالجة وحلول المواجهة ليأجوج ومأجوج، استطاع أن ينهض بهم وينسف شعورهم بالعجز قبل أن يغرس في نفوسهم ثقتهم بذواتهم، فعمل على تأهيلهم علمياً حتى استطاع فهمهم وإفهامهم، ثم أهَّلَهم تقنياً بإشراكهم في بناء الردم، ويظهر من الآيات أن مشاركتهم المادية والمالية كانت أساسية، مع استغناء ذي القرنين عنها؛ يدل على أن إشراكهم في ذلك كان تأهيلاً وتدريباً ومعالجة لتصورات خاطئة عن أنفسهم. قال الشعراوي: "وها هو ذو القرنين يعلن أنه في غير حاجة إليهم، ولكن يكلفهم بعمل حتى يحقق لهم مُرادهم :﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ

[1] -التحرير والتنوير:١٥/١٣١.

قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦] ... ولم يعمل ذو القرنين لهم، ولكن علّمهم كيف يصنعون الرَّدْم، وذلك حتى لا يعيشوا مع الإحساس بالعجز"[١].

المسألة السابعة: حق العامل في الحصول على الأجر العادل. وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف:٣٠] وقوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧]. وقوله: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]ففي الوقت الذي يرى فيه بعض العلماء والقادة والإداريين أفضلية عدم إعطاء العامل في حقل العمل الخيري أجراً على قيامه ببعضها، وإن كان لا بد من ذلك فيعطى أجراً رمزياً. وهذه الرؤية تخالف نصوص الشرع التي أوجبت للعامل الأجر الكامل والعادل دون تفريق بين قيامه بعمل خيري وآخر تجاري، كما أنها مخالفة للأسس التي قامت عليها الإدارة الإسلامية. وبالنظر في آيات سورة الكهف السابقة سنجدها قد اهتمت وأشارت إلى أهمية الأجور وأثرها في إنجاح الأعمال الخيرية، وإلى حق العامل الحصول على الأجر العادل والمناسب جراء ما يقوم به من عمل، وله من الله تعالى الأجر الأخروي على إخلاصه وإتقانه العمل، وأن كانت هذه الإعمال خيرية ومصالح عامة، فسيدنا موسى عليه السلام رغّب الخضر في الحصول على أجرٍ مقابل بنائه الجدار، مع أنَّ ما قام به عمل خيري، وذو القرنين لم يرفض عرض القوم خرجاً له لبناء السد، رغم أنه مصلحة عامة. وحصول العامل على أجره العادل الكامل من شأنه أن يحفز المبدعين على الانخراط في المجال الخيري والقيام بالمصالح العامة، بما يسهم في رفد هذا المجال بكوادر إبداعية غير تقليدية، تعمل على إحداث طفرات ونقلات نوعية في الخدمة المجتمعية. كما أن حصوله على الأجر الكامل يضعه تحت المُسَألة الكاملة –الشرعية والقانونية – عن أي تقصير أو خلل يتسبب فيه، ويحاسب عليه في الدنيا قبل الآخرة، وهذا يحد من القصور ويمنع الفساد المالي والإداري الذي قد يحدث.

المسألة الثامنة: الدعاية والإعلام ودورها في إبراز النجاح. لا يمكن أن يكون القائد الإداري فعالا إذا ظلت منجزاته طي الكتمان[٢]. ومن هنا كان من اللازم على كل إداري وسياسي يريد لنفسه النجاح، وينفي عن نفسه الفشل ويدفع شبهات المغرضين أن يبرز إنجازاته عبر وسائل الإعلام المناسبة والمتيسرة في إطار دائرة ومحيط عمله وجمهوره. كما ينبغي عليه أن يحسن تسويق نفسه للآخرين وللجهات المعنية. وهذا ظاهر في قصة ذي القرنين، فقد سبقت أخباره رحلاته، فكان لا يصل بلداً إلاَّ وتحقق له ما يريد وخضع له أهلها، وقد

---

١ -تفسير الشعراوي: ٢١٥٦.

٢ -مقالات في القيادة الإدارية: ٤/١.

أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «ونصرت بالرعب مسيرة شهر»[1]. أي: أن أخبار إنجازاته العسكرية – الانتصارات – قد أحدثت أثراً بفعل الترويج لها.

المطلب الثالث: إدارة الجودة في ضوء سورة الكهف

إدارة الجودة وجودة الإدارة وإتقان الأعمال من المعالم الإدارية التي أشارت إليها سورة الكهف، التي تجاوزت مَعْلَم الإتقان وأشارت إلى مَعْلَم الإبداع والإحسان. فظهرت معالم الجودة في التخطيط، وفي التنفيذ، وفي الخطاب والحوار. ويُقصد بالجودة: الدرجة العالية من النوعية أو القيمة. أو هي: إتمام الأعمال الصحيحة في الأوقات الصحيحة. فهي تقديم الخدمة المتميزة والصحيحة للعميل، في الوقت والزمان الذي يكون محتاجاً إليها. وقيل: "هي الإيفاء والالتزام بالمتطلبات"[2] والهدف النهائي من نظام إدارة الجودة الشاملة يتجاوز حل المشكلات بمنعها قبل حدوثها، وتحسين وتطوير أداء العمل. فإذا راعى الناس الجودة في أدائهم على المستوى الذاتي عُولج أحد مسببات الفساد الإداري، وإذا ما تأملنا في سورة الكهف سنجد مفهوم ومعالم ومظاهر الجودة فيها ومن ذلك: الإتقان والإحسان، وتحسين مستوى الأداء القولي والعملي، والتقليل من نسبة الرداءة في المنتج، وخفض الحاجة إلى الرقابة أو التفتيش، وخفض التكاليف، خفض الشكاوى، وتقديم خدمات جديدة، ويظهر كل هذا في النماذج البارزة في السورة وقصصها.

<u>أولاً: معالم الجودة في قصة أصحاب الكهف، وتتمثل فيما يلي:</u>

١ – الجودة في الغذاء. قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩] ففيها ما يدل على حرصهم الشديد على اختيار الأزكى –الذي يمكن القول انه ما تنطبق عليه معايير مواصفات ومقاييس حماية المستهلك في زمنهم – وهذا ليس أمراً مستغرباً، فهو من واجب الإنسان تجاه بدنه كما قال ﷺ:«إن لجسدك عليك حقاً»[3] ومراعاة جودة الغذاء أمر لابد منه لفتية فارة بدينها، تعودت على مستوى معيشي راقٍ، وأنواع من الغذاء عالية الجودة، إذ قد يترتب على تَغَيُّر غذائهم ورداءته بعض المشاكل الصحيَّة تضطرهم إلى كشف حالهم، فتفشل خطتهم ويقع ما كانوا يخشونه: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠].

٢ – الجودة في المسكن. قال تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّه﴾ [الكهف:١٦ –١٧]. قد يتبادر إلى الذهن أن هذا الكهف عبارة عن مغارة في

---

[1] –صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم:١/٩١،رقم الحديث:٣٣٥،صحيح مسلم،كتاب الصلاة، باب:٢/٦٣، رقم الحديث:١١٩١.

[2] –أساليب تعليم القرآن الكريم القائمة دراسة ميدانية تحليلية:١١/٢.

[3] –صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب لزوجك عليك حق:٧/٤٠، رقم الحديث:٥١٩٩.

بطن جبل ممتلئ بالأفاعي والهوام، ومأوي للسباع والجان، إلاَّ أن هذا التصور مخالف لمقتضى النص القرآني المشعر بأن اختيار الكهف كان بإلهام الله لبعضهم، وفيه من صور الرحمة المنشورة ومعاني الرفق الإلهي ما يدفع هذا التصور ﴿يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ فلم يكن الكهف مسكناً عادياً، بل كان مسكناً له مواصفات خاصة، روعيت فيها المساحة والسعة، كما روعيت فيه التضاريس والمناخ المحققان لشروط الأمن والسلامة والشروط الصحية الملائمة، من توفر الأمنوالتهوية والإضاءة الجيدتين، واتجاه بابه البعيد عن اتجاه الشمس عند شروقها وغروبها، حتى كان هذا الموقع – المسكن – المتميز جزء من آيات الله التي أشارت إليها الآية.

٣ – الجودة في التعامل. قال تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف:١٩] قال الزمخشري: "وليتكلف اللطف والنيقة – الإتقان – فيما يباشره من أمر المبايعة؛ حتى لا يغبن"[١] ولكي لا تقع خصومة تجر إلى معرفته[٢]فلا يوقعن إخوانه فيما وقع فيه[٣]وإن تعرفوا عليه وهذا تلطُّف برفقائه، أو يبالغ في اللطف في حركته ودخوله وخروجه من المدينة[٤]. فالتلطف الزائد من شأنه أن يمنع المشكلات، وهذا أحد أهداف الجودة. ودعوة أصحاب الكهف لممارسة الجودة في الأساليب والوسائل ناتج عن تشاور ونصح قدمه خبراؤهم ومستشاريهم، ولا ننسى أنهم كانوا أمراء، فهم أصحاب خبرة إدارية وأمنية.

ثانياً: معالم الجودة في قصة صاحب الجنتين.

١ – جودة الإنتاج. قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف:٣٢ –٣٣] فوصف الله تعالى هذه الجنة وأمتن على صاحبها بجودة إنتاجها وكثرة خيراتها وثمارها ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ إلى حد أوصل صاحبها إلى البطر. هذه الجودة في المنتج مما من شك أن لها أسبابها المادية، المتمثلة في: الهندسة الزراعية المتخصصة، ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ الجامعة بين أنواع الثمار والفواكه والمحاصيل الزراعية، ودورها في خصوبة التربة وتحسن الإنتاج، إضافة إلى وفرة المياه السطحية التي تحتاجها الجنتان ﴿وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ والتي تُعَد آلية ري مناسبة ومهمة لتجويد وتحسين الإنتاج. وقبل كل هذا تجويد الخدمة للأرض والغرس والزرع والبذر، فكانت جودة الإنتاج والمخرجات ثمرةً لجودة العمل والمدخلات. قال الزمخشري: "جنتين: بستانين من

---

[١] –الكشاف:٢/٧١٠، وذكره البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣/٤٨٥.

[٢] –تفسير المراغي:١٥/١٣٠.

[٣] –الجامع لأحكام القرآن:١٠/٣٧٥.

[٤] –الجامع لأحكام القرآن:١٠/٣٧٥، والبحر المحيط:٦/٨٢.

كروم وَحَفَفْنَاهُما بِنَخْلٍ وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين[1] في كرومهم: أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة.﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾ جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه....ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما هو أصل الخير ومادّته من أمر الشرب، فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيح بالنهر الجاري فيها"[2]. وبهذا التجويد جمعت الجنتان بين نوعين من الثمار –النخيل والأعناب –في مناخ واحد، في حين يقول بعض الزراعيين: أن كلاً منهما تحتاج لمناخ لا يتناسب مع الأخرى، فالأعناب تزرع في مناطق باردة في حين تزرع النخيل في المناطق الحارة، ومع ذلك فقد زرعتا في مكان واحد، وهو ما نتمنى من الزراعيين المتخصصين دراسة ذلك وبيانه. ومن الناحية الاقتصادية فقد جُمع في الجنتين بين أنواع من المحاصيل الزراعية ذات الإنتاج القريب الأجل كالزروع، والإنتاج البعيد والطويل الأجل كالتمر والعنب، هذا التنوع من شأنه أن يوفر عائد مادي سريع للمنتجات قريبة الأجل، يمكن الاستفادة منه في تجويد المنتج البعيد الأجل.

٢ – جودة الخطاب الدعوي. وهذا ظاهر في حوار المؤمن مع صاحب الجنتين، وقد أشرنا إلى ذلك في سياق حديثنا عن الحوار بما يغني عن التكرار.

ثالثاً: معالم وصور الجودة في قصة ذي القرنين.

١ – الجودة في القيادة والإدارة وفن الحكم. وهذه الجودة ناتجة عن أهلية القائد وامتلاكه الأدوات الفعالة للحكم الراشد من العلم والخبرة والأهلية، والمؤيد من الله قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤] والقائم على العدالة، والمتوفرة له العناصر المساعدة والإمكانيات اللازمة المادية والمالية للنهوض الإنساني في المجالات المختلفة، الإدارية والعلمية والتقنية، ولمعالجة المشكلات الطارئة. ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦].

٢ – الجودة في المشاريع الإستراتيجية، والأعمال الإنشائية. تخطيطاً وتنفيذاً وإشرافاً ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(٩٥)آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٥ –٩٧].

---

[1] –جمع دهقان، وهو: التاجر، ورئيس الإقليم، وزعيم الفلاحين، معرب من الفارسية.[تاج العروس:٣٥/٤٨]

[2] –الكشاف: ٢/٧٢٢.

رابعاً: من المعالم العامة للجودة في سورة الكهف.

١ - الجودة في التدوين والقيد والتسجيل. وهذا ظاهر في الإتقان والضبط والتسجيل لأعمال الإنسان، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

٢ - الجودة في الحد من الجريمة قبل وقوعها. وذلك بالوسائل المناسبة والمتاحة. وهذا بارز في مواقف الخضر الثلاثة: فخرق السفينة ليمنع غصب الملك لها، ولم ينتظر غصبها؛ ليتشفع لهم أو يعالج مصابهم بأمر أخر. وقتل الغلام؛ خشية إرهاقه أبويه طغياناً وكفراً، ولم ينتظر فتنتهما؛ لدعوتهما وتثبتهما على الدين ويُصبِّرهما على انحراف ابنهما. وبنا الجدار ليحفظ مال اليتيمين ولم ينتظر حتى يُؤكل؛ ليبحث لهم بعد ذلك عن كفالة. فغصب السفينة جريمة، وسرقة أو نهب وأكل مال الأيتام جريمة، الكفر أكبر جرماً، وقد منع الخضر ذلك كله قبل حدوثه.

إن المتتبع للنصوص الوحي يجد أنَّ غاية المشرع في المكلّف ليس في مجرد الانصياع بأداء العمل على أي وجه، بل العمل المتقن إحدى غاياته ومقاصده. كما أنه سبحانه قد أشار إلى ذلك بفعله فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧] وقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] وقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل:٨٨] وقال ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:٧] وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] وقال ﷺ:«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[١].

المطلب الرابع: المعالم والدلالات التنموية في سورة الكهف

ومما تناولته سورة الكهف المعالم والدلالات في الجوانب التنموية، التي استنبطنا منها معالم ودلالات في أربعة مجالات تنموية، تناولنا أكثرها في سياق حديثنا عن المفاهيم والمعالم والملامح التربوية والتعليمية والإدارية، إلاَّ أنَّا نشير إليها هنا لتعلقها بالمحور التنموي، وهذه المجالات هي:

أولاً: مجال التنمية البشرية. وهذا ظاهر في رحلة سيدنا موسى عليه السلام كما هو ظاهر في إعداد وتأهيل ذي القرنين للقوم المشاركين له في تنفيذ المشاريع الإنشائية الإستراتيجية، تأهيلاً علمياً وتقنياً، كما تضمن التأهيل تدريبهم على فن التواصل البشري، فقد وصل إليهم وحالهم كما عبر عنه القرآن: ﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا﴾ [الكهف:٩٣] لكن بعد تأهيلهم وفهمهم له وفهمه لهم كان لهم دور بارز في إنشاء ذلك المشروع التاريخي العملاق.

ثانياً: مجال التنمية الزراعية. وقد أشرنا إليه في حديثنا عن جودة الإنتاج.

[١] -المعجم الأوسط للطبراني:١/٢٧٥، رقم الحديث:٨٩٧.

ثالثاً: مجال التنمية الصناعية والإنشائية. وهذا ظاهر في قصة ذي القرنين، وما تحدثنا عنه في جودة المشاريع الإستراتيجية والأعمال الإنشائية. حيث استخدم ذو القرنين أفكاراً وتقنيات علمية مثَّلت تطوراً ونقلة في مجال التنمية الصناعية، وذلك بخلط ومزج الحديد بالنحاس في الأعمال الإنشائية، وبتلك الأفكار التجديدية النهضوية حوَّل المشروع من سد إلى ردم، ونجح بذلك في تخليد هذا المشروع والحفاظ على بقائه وأدائه دوره المعمل لأجله. قال الشعراوي: "فالله سبحانه وتعالى لفتنا هنا إلى حقيقة علمية لم نعرفها إلا في العصر الحديث . فالسد إذا كان كله من مادة صلبة؛ يتعرض للانهيار إذا ما جاءت هزة أثرت في كل جوانبه، أما إن كان هناك جزء من بناء صلب على الحافة، وجزء صغير في المنتصف وجزء ثالث، ثم رابع، ويفصل بين كُلٍّ جزء ردم من تراب، فالردم فيه تنفسات بحيث يمتص الصدمة، وهي نفس فكرة الإسفنج التي نحيط بها الأشياء التي نخاف عليها من الكسر لنحفظها، فلو أن الصندوق من الخشب أو الحديد أو أي مادة صلبة لتحطم الشيء الموضوع فيه بمجرد اصطدامه بالأرض صدمة قوية، ولكن إذا أحطناه بوسادة من الإسفنج فهي تمتص الصدمات[1].

رابعاً: مجال تنمية الموارد الاستخراجية والاستكشافات والتنقيب والتعدين، والحفاظ عليها. أشارت سورة الكهف إلى الموارد الاستخراجية، التي يمكن أن ندرج تحتها: الآثار، والكنوز، والمعادن، والثروات الطبيعة من نفط وغاز وغيرها من الصناعات الاستخراجية. وهذا مستنبط من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٣] فالخضر حرص على حماية ثروة معدنية لليتيمين. وهذه الآية تدل على أنّهَ ينبغي على كل مسؤول العمل على استخراج هذه الثروات، عند تحقق الاستفادة منها بالشكل الأمثل وتحويلها إلى مشاريع استثمارية وعائدات اقتصادية تنعكس على المجتمعات والشعوب المالكة لها. وقبل ذلك ينبغي توفر الإرادة والقدرة على الاستفادة من هذه الثروات وحمايتها. وما لم يتحقق ذلك فالواجب على كل مسؤول الحفاظ على هذه الثروات في أماكن آمنة، وسريَّة إن لزم الأمر، ولو بالردم وبناء الجُدُر عليها كما صنع الخضر بثروة وكنز اليتيمين.

<u>الخاتمة:</u> بعد هذا التأمل الدقيق في آيات سورة الكهف ظهر لنا من معالمها ودلالاتها التي استخرجت لنا جزءً من كنوز هذه السورة وشيئاً من عجائب القرآن التي أشار إليها الحديث النبوي: «إن هذا القرآن مأدبة الله، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد»[2]. فنحمده سبحانه وتعالى أنوفقنا لإظهار شيء من عجائبه في هذا البحث. الذي خلصنا فيه إلى جملة من النتائج والتوصيات نجملها فيما يلي:

---

[1] -تفسير الشعراوي:٣٣٦٠

[2] -المستدرك على الصحيحين للحاكم:١/٧٤١، رقم الحديث:٢٠٤٠.

أولاً: النتائج.

١ - عظمة القرآن وتجدد إعجازه وعجائبه التي لا تنقضي.

٢ - اشتمال القرآن على علوم مختلفة.﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.

٣ - القصص القرآني ليست فقط للعظة والعبرة وإنما للتطبيق.

٤ - التمسك بالقرآن الكريم سر النهوض الحضاري والعلمي والمادي.

٥ - اشتمال القرآن الكريم على قواعد وطرق ووسائل تربوية متنوعة.

٦ - القرآن الكريم والشريعة الإسلامية هي من أنصف المرآة وكرمها.

٧ - القرآن يدعو لتكريم الذات،والتمتعبالطيبات،ويبيح الزينة وصحبة غير المسلمين.

٨ - حثَّ القرآن الكريم على ضرورة الفاعلية والتأثير الإيجابي للمسلم في المجتمع الإنساني.

ثانياً: التوصيات.

١ - الاهتمام بالدراسات القرآنية واستنباط واستلهام الأفكار والرؤى الجديدة والاستفادة منها.

٢ - الإكثار من دراسة الدلالات القرآنية التي تمس وتخدم الجوانب الحياتية للإنسان.كالبحث في:

- المشاركة الأهلية في التنمية المجتمعية، ودورها في إنجاح وحماية المشاريع.
- القطاع الخاص في القرآن الكريم ودوره في التنمية المجتمعية.

٣ - استخراج بقية الكنوز القرآنية في سورة الكهف. ومنها:

- التعمق بدراسة المطالب التي تناولناها في بحثنا.
- دراسة الجوانب الفكرية والتحصين الفكري للشباب من خلال سورة الكهف.
- دراسة الجوانب والآيات المتعلقة بالإعجاز العلمي في سورة الكهف ك:الحكمة من تقديم السمع على البصر، تقليب أصحاب الكهف، سد ذي القرنين والبناء بخليط معني الحديد والنحاس. والجمع بين زراعة النخيل والعناب في مناخ ومكان واحد.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع:

١. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

٢. آداب العلماء والمتعلمين: الحسين ابن المنصور اليمني. دار الكتب، بيروت، ط١.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود العمادي محمد بن محمد مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

٤. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة: زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١٩٨٠م.
٥. الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٩٩١م.
٦. الإنسان بين علو الهمة وهبوطها. جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/١٤١٨هـ.
٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥/٢٠٠٣م.
٩. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،ط:١٤٢٠هـ.
١٠. بدائع السلك في طبائع الملك: محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي الأندلسي أبي عبد الله. تحقيق: د. علي سامي النشار، نشر وزارة الإعلام، العراق، ط١.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.
١٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط/١٩٨٤هـ.
١٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا. دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
١٥. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١/١٤١٩هـ.
١٦. التفسير القرآني للقرآن د. عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٧. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط١/١٣٦٥ هـ.
١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، بيروت، دمشق،ط٢/١٤١٨هـ.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/٢٠٠٠م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م.

٢١. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤١٥هـ.
٢٢. الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود
٢٣. دائرة معارف الأسرة المسلمة. جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود
٢٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
٢٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١/١٤٠٥هـ.
٢٦. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان -ط٤/١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية،بيروت،ط١/١٤١٥هـ.
٢٨. زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٩. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٣٠. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٣١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٢/١٩٧٥م.
٣٢. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/٢٠٠١م.
٣٣. السيرة النبوية(عرض وقائع وتحليل أحداث) د. علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١/٢٠٠١م.
٣٤. شرح صحيح البخاري لابن بطال: أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض،ط٢/٢٠٠٣م.
٣٥. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح):محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١/١٤٢٢هـ.
٣٦. صحيح مسلم (المسند الصحيح):مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
٣٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١/١٤١٦هـ.

٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٧٩هـ.رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٩. القصة في القرآن الكريم. الخصائص والدلالات: د. إبراهيم الصعبي
٤٠. كتابات في الإبداع وإدارة الوقت والذات إعداد: عبد الله المهيري
٤١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤٠٧هـ.
٤٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١/٢٠٠٢م.
٤٣. لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن –ط٣/ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٤. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١٨هـ.
٤٥. المحكم والمحيط الأعظم: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة:٢٠٠٠م.
٤٦. مدخل إلى التنمية المتكاملة –رؤية إسلامية –د. عبد الكريم بكّار، دار المسلم، الرياض،ط١/١٩٩٧م.
٤٧. المستدرك على الصحيحين: أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١١هـ.
٤٨. مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١/٢٠٠١م.
٤٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط١/١٤٢٠ هـ.
٥٠. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
٥١. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد بن عمر بن الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/١٤٢٠ هـ.
٥٢. المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود
٥٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/١٣٩٢هـ.
٥٤. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية: عبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٦. النكت والعيون: علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية – بيروت.